170

روايات أحلام

# خطأ !

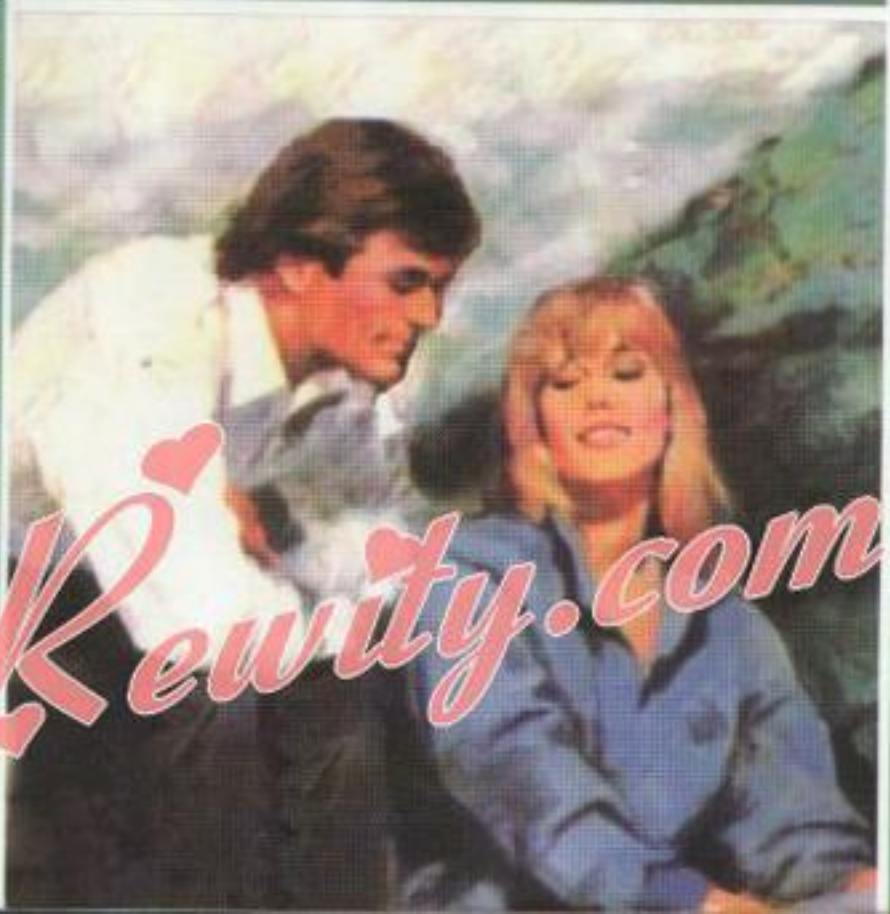

Rewity.com

# خطأ !

غيوم الصيف مكتوب عليها الرحيل الدائم فإذا وقعت ماتت .. وكغيمة صيف حط يورك ويندهام في تربة بيلا الخصبة ..

فكيف لها ألا تحب أن يلتقيا . وهي ابنة الريف التي تعمل في البناء وهو ابن الأرض والاستقرار . كان يورك صحافيا متجولا ، فيقته الدائم المغامرة وموطنه الأهوال والحروب . ولم تكن بيلا بالنسبة له إلا واحة راحة قصيرة .. فهل يستطيع حبها أن يقنعه بالبقاء قبل رحلته الأخيرة .. نحو الموت !


| | | | |
|---|---|---|---|
| لبنان: | 2500ل.ل | البحرين: | 1دينار |
| سوريا: | 75ل.س | السعودية: | 10ريال |
| الأردن: | 1.5دينار | مصر: | 8جنيه |
| الكويت: | 750فلس | المغرب: | 15درهم |
| الامارات: | 10دراهم | تونس: | 2دينار |
| قطر: | 10ريال | عمان: | 1ريال |

ISBN 9953-15-292-6

روايات أحلام

تصدر عن شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م

العنوان: طريق المطار - قرب جسر المطار

ستر زعرور

ص.ب: 8254/ 11 بيروت - لبنان

هاتف/ فاكس: 450950 - 1 - 00961

Email: info@darelfarasha.com

المدير المسؤول: آمال سابا الهاشم

التوزيع في المملكة العربية السعودية

الشفق للطباعة والنشر والتوزيع

هاتف: 503494915 - 00966

00966 - 553494915

جميع حقوق الطباعة والنشر والاقتباس

والتأليف محفوظة

# ١ ـ عندما يبتسم

صاحت جويس رينولدز بسخط:

ـ انظري إلى حالة هذه الأشياء! غبار البلاستيك، الخشب، الطلاء.. كيف يفترض بي أن أنظفها؟

قالت بيلا بهدوء: «إنه ثوب عملي».

لكنها في الداخل تنهدت واكفهرت عيناها الخضراوان. طالما سمعت النغمة ذاتها أكثر من مرة.

تابعت جويس: «ما كان على والدك أن يشجعك.. هناك أشياء كثيرة كان بإمكانك عملها.. أنت لا ينفعك الذكاء أو المظهر الحسن. والدليل على ذكائك أنك تمكنت من اجتياز كل تلك الامتحانات.. ولكن كيف اخترت دراسة هندسة البناء؟ عجباً! أحب أن يكون عندي ابنة ذكية أما أن تكون قوية العضلات فلا! أتعرفين؟ ألوم نفسي على ذلك.. ليتني أنجبت له الابن الذي طالما حلم به».

جرحها كلام أمها مع أنها كانت تمزح.

ـ أمي! كوني منصفة! لست مسترجلة، قوية العضلات. تصوريني وكأنني رياضية ضخمة العضلات... في هذه الأيام بسبب آلاتنا الحديثة لا يحتاج البناء إلى القوة بمقدار ما يحتاج إلى البراعة.. كما أنني لست مسترجلة كذلك. وهذه الملابس التي أرتديها هي ملابس العمل.

ـ لو درست نوعاً آخر من المهن لما احتجت لارتداء ثياب عمل.. وماذا يفكر فيك معظم أصدقائنا عندما يرونك وسط الرجال وكأنك رجل؟

ـ اضطررت إلى إبقاء الشركة واقفة على قدميها بعد موت أبي.. تعرفين أن هذا ما كان يريده.. ولولا ذلك لكانت معيشتنا صعبة وحتى لو بعنا المؤسسة كما اقترحت، ما كان مالها ليدوم إلى الأبد.

ـ حسناً.. ربما لم تكن فكرة صائبة.. إنما ما زلت أؤمن بأن تشارلز جوردان قادر على إدارتها على خير وجه.. إنه يعرف جميع التفاصيل وأدقها.. وهو يعمل فيها منذ كان شاباً أي في عهد جدك، وما زلت أؤمن أنه لم يكن هناك داع لتقومي بهذا العمل.. أحياناً أتمنى.. آه.. ستتهمينني... مجدداً.

خرجت لاوري من الباب الخلفي تاركة جويس تهز رأسها. فمن الأفضل عدم البقاء معها لتجادلها، لأن الجدال ما حلّ مشكلة يوماً.. في هذه الأيام وبسبب وفاة والدها الذي لم يمض على وفاته إلا مدة قصيرة، كانت تبذل جهدها لتتجنب الصدام مع أمها.. لكنهما في الواقع لم تتفقا قطّ في الرأي..

لم تنجب جويس رينولدز لزوجها صبياً ليسير على خطاه.. ولكنها تفضل لو تمتهن ابنتها مهنة متألقة، مهنة تتطلب منها ارتداء البزات الأنيقة والثياب اليومية.. فبعد فترة عمل بسيطة، يجب على بيلا أن تستقر كما استقرت أمها، وهذا يعني الزواج برجل ناجح، رجل مقبول اجتماعياً وتنجب له عائلة.

لكن بيلا رفضت عروض زواج متعددة، وأعلنت أنها تريد أن تمتهن مهنة والدها.

وصلت إلى الشاحنة الصغيرة فركبتها وراحت تقودها إلى شوارع البلدة التجارية الضيقة.. تذكرت حديثاً سمعته مؤخراً خلال نقاش دائر



في عرس ابنة عمتها دوريس ستافورد التي كانت تقول لأمها:

ـ أمي! هل يجب أن تكون عمود البناء تلك وصيفتي؟ ستقزمنا جميعاً.

لم يكن ما اتهمتها به أمها عن العضلات الكبيرة صحيحاً ولم يكن ما وصفتها به ابنة عمتها أنها عمود صحيح أيضاً. فهذا الوصف يوحي بأنها شخص هزيل.. نعم هي طويلة، إذ يبلغ طولها خمس أقدام واثنا عشر إنشاً وهذا ما نعتها به صديق لبق لئلا يقول إنها ست أقدام، ولكنها ليست نحيلة وهي تعرف أن جسمها متناسب مع طولها.

عادت تتذكر ذاك الحديث.. كانت دوريس قد تابعت كلامها بدون أن تنتبه لوجود بيلا:

ـ أتظنين أنها ستتزوج يوماً؟ هي الآن في الرابعة والعشرين.

أسترقت بيلا نظرة إلى المرآة أمامها لكنها لا تحتاج إلى إثبات.. تعرف بيلا أن عملها يعرّضها كثيراً لعوامل الجو، لهذا كانت تعتني ببشرتها بدقة وهذا ما جعل بشرتها ذهبية كالدراق.

ستتزوج يوماً بالتأكيد.. ولن يحصل هذا حتى تجد الرجل المناسب.. ولكنها تعلم أن مقاييسها في الرجل كثيرة ومتطلبة.. كان زواج أبويها رائعاً وطالما أرادت السير على خطاهما.. لكن، ومع أنها لم تفتقد يوماً إلى صحبة الرجال وصداقتهم.. لكنها لا تتذكر صدقاً أنها أحبت رجلاً أو انجذبت إليه انجذاباً كافياً.. فالرجل المثالي بالنسبة إليها هو الرجل الذي تعجب به من أجل سعة أفقه ومعتقداته وإنجازاته وقبل كل شيء صدقه الذي لا يلين.. أدركت أن هذه المواصفات هي المواصفات التي كان يمتلكها والدها وهي المواصفات التي يمتلكها أيضاً داني ردهوت.

لم تعرف داني منذ وقت طويل.. فقد انتقلت أسرة ردهوت إلى هيكسهام منذ ثلاثة أشهر فقط.. يدير داني ووالده شركة للطلاء

والديكورات، وكان الأب قد قدم عرضاً «لشركة رينولدز وأبناء» وبما أن ردهوت الأب كان متعباً أرسل ابنه لمناقشة الشروط ولكن ما إن رأى داني بيلا حتى أضاءت عيناه.

منذ ذلك الوقت وهي تتواعد معه بانتظام، ولقد أصبح وأمه عضوان في جمعية القرية.. داني ذكي، رفقته مسلية، والواضح أنه شخص جاد بعمله.. وهذا جعلها تظن أن هذا الشاب الرملي الشعر، المنمش الوجه هو الزوج المناسب لها.. وكانت جويس رينولدز واثقة من هذا وموافقة على داني.

يقع موقع بناء «شركة رينولدز وأبناؤه» الحالي على بعد بضعة أميال من هيكسهام.. وجدت بيلا أن هذه الأفكار تستحوذ عليها، ولهذا لم تتذكر الرحلة كثيراً.. يجب أن تحاول عدم الغرق في أحلام اليقظة عندما تقود السيارة.. فلا بد أن تكون متيقظة هذا الصباح.

رفع مراقب الموقع العجوز يده محيياً:

ـ يوم سعيد آنسة إيزابيلا!

ـ صباح سعيد باري.

نظرت نظرة الخبير إلى ما حولها لتستوعب مظاهر النشاط: الأساس انتهى والجدران صفّت. ألقت نظرة على الحجارة الحمراء الآجرية فشعرت بالرضى لأنها تمثل النظام والإنجاز.

عندما كانت طفلة رغبت كثيراً في صف الآجر بيدها. ولم يكن يفهم طموحها إلا والدها، ومع السنين علمها بأناة عدا وصف الحجارة تلك المهارات التي هي تقليدياً للرجال: التوريق، التجصيص، أعمال الخشب وغيرها.

سألها باري: «أيريدونني في الكوخ اليوم؟».

ـ أجل.. فأنا أريد منك إلقاء نظرة على بئر السلم، وإطارات النوافذ بحاجة إلى تعديل، هذا في البدء فقط.



بعد خمس دقائق من هذا انطلقت بيلا مجدداً في طريقها فعلّق المشرف العجوز:

ـ ابنتي، أخيراً قررت ترتيب المكان القديم؟

ـ أجل.. لم يطاوعني قلبي على الشروع في هذا بعد موت والدي مباشرة.

ارتفعت غصة الحزن إلى صوتها.

أردفت: «لكنه بقي فارغاً زمناً طويلاً.. ولا أريد أن يتلف».

أدارت إشارة المرور إلى اليسار نحو هولمواك وهو مفرق طريق من السهل عدم ملاحظته إن لم يكن السائق على معرفة بالمنطقة.

ليس في هولمواك ما تقدمه للمسافر المحنك فهي قرية ريفية خضراء، تطوق ساحتها الأشجار والبيوت الحجرية ومبنى البلدية القديم والفندق «ستاغ إن» بمقاعده السنديانية المرتفعة وطاولاته النحاسية الإطار المنتشرة بين شجيرات مزروعة في آنية فخارية، وتعريشات الجيرانيوم الأحمر.

سألها تشارلز جوردان:

ـ أما زلت مصممة على بيع الكوخ؟

ـ بالتأكيد.. لو كان والدي على قيد الحياة لاختلف الأمر. لكن أمي تقول إنه بعيد عن الطريق المأهولة لذا لا تستطيع أن تسكن فيه بمفردها.

اشترى والدها المنزل الريفي الذي يعود تاريخه إلى القرن السابع عشر، في هولمواك، على بعد عشرة أميال من هيكسهام قبل ستة أشهر من وفاته. كان يخطط لإصلاحه وتحديثه لجعله منزلاً له ولزوجته بعد تقاعده.. ولكنه لم يعش ليرى هدفه يتحقق.

قال تشارلز الصديق المقرب من العائلة:

ـ أجل.. لن ترغب الوالدة ان تكون قريبة من شقيقة كلاري.

ـ هذا صحيح، لكن عمتي إيلينا تحب العيش هنا . أسرة رينولدز طالما كانت أسرة ريفية، وإدارة «ستاغ إن» تشغل وقتها كله ولكن أمي ستضجر هنا. إنها تحب أن تكون قرب المحلات.. وانطلاقاً من هيكسهام من السهل الوصول إلى نيوكاسل.

ـ ألم تستعد جويس معنوياتها؟

تنهدت بيلا: «لا.. لقد مرت سنة على وفاة أبي.. ليتها تظهر حزنها أو تبكي أحياناً.. فأنا مثلاً أبكي. أما هي فما زالت مشحونة داخلياً، سريعة الغضب، خاصة معي».

ـ ستستعيد هدوءها يا ابنتي مع الوقت.. هذه مسألة تتطلب وقتاً عند بعض الناس.. لكن الأمر كان قاسياً عليك.. إنكما بمفردكما الآن لذا تؤثر الواحدة بالأخرى سلباً.. كما أنك كنت دوماً ابنة أبيك.

ردت بشيء من المرارة في صوتها:

ـ هذا لأن أمي لم تكن بحاجة إلى وجود شخص آخر مع وجود أبي.. فطالما أشعرتني بأنني معزولة بطريقة ما.. أما والدي فكان يتصرف بشكل مختلف.

ـ أجل.. حسناً.. ستدرك قريباً أنها كانت مخطئة لأنها ركزت عاطفتها على شخص واحد.. في هذه الأثناء يا ابنتي اشمخي برأسك ففي يوم ما ستتزوجين.. وعندئذ ستفهمين موقفها.

كان لإيزابيلا الكلمة الأخيرة:

ـ لكنني لن أدع أولادي يشعرون بأنني لا أرغب فيهم.

من المؤسف ألا تحتفظ بالكوخ فهي كعمتها تحب الريف وبطء الحياة فيه.. الرجال يجلسون خارج الفندق المربع الصغير ونساؤهم يتناقلن القال والقيل قرب المنازل الصغيرة المسماة الأكواخ التي تبرز من نوافذها الستائر الملونة... بإمكانها العيش بسعادة هنا.

وهي تحب الكوخ كذلك مع أن مجيئها إلى هذا المكان يوقظ فيها



ذكريات حزينة.

يعود بناء المنزل الذي كان في الأصل منزل مزرعة إلى القرن السابع عشر.. بدا ساحراً بأحجاره البنية والعاجية وما زاده جمالاً الخطوط الصفراء المستخدمة في رصف الحجارة.

تقوم معظم أعمال الشركة على بناء الأملاك الجديدة ولكن إيزابيلا تفضل العيش في منزل كهذا.. فالأبنية القديمة تثير اهتمامها لأنها تعبير عن نمط حياة مختلف عن نمط الأيام الحاضرة..

لكن داني لم يكن يشاركها حماسها للعيش في كوخ فقد نشأ في شقة صغيرة منمنمة بين أب متسامح وأم محبة.. يحب أن يكون بيته شقة حديثة، والواقع أن من السهل إدارة شقة لأن عمل الشركة سيستغرق جزءاً كبيراً من وقتها حتى بعد الزواج.. وهذا عكس ما تأمل به أمها.. ولكن هذه الأفكار سابقة على أوانها لأن علاقتها بداني لم تتقدم إلى مرحلة الزواج.

قال تشارلز لها: «أنت على حق ابنتي.. هناك الكثير من الأعمال الخشبية بحاجة إلى استبدال هنا.. سأعاينها جيداً وآخذ بضعة قياسات».

كانا معاً يجولان في المنزل القديم. بعد فترة ألقت بيلا نظرة على ساعتها.

قالت: «الساعة تقارب الواحدة.. إنه وقت الغداء، ولا أريد أن أؤخرك».

ـ لا تقلقي حبيبتي.. لن تؤخريني.. فابنتي لا تتوقع مجيئي إلى البيت.. لقد ذهبت إلى نيوكاسل.

كان تشارلز أمام العمال مهذباً معها دائماً، لكن فيما بينهما كان يتصرف وكأنه جدها وكأنها حفيدته.

ـ اسمعي حبيبتي.. لماذا لا تذهبين إلى «ستاغ إن»؟ اطلبي من

عمتك تسخين بعض الفطائر المصنوعة يدوياً.. فهذا سيفيدني.

رمت الشمس ظلالاً عميقة على قطعان الخراف في الأودية.. وخرج يورك ويندهام من السيارة يصفق بابها ويقف محدقاً إلى ما حوله: المزيد من المناظر التي ليس لها معالم! المزيد من الخراف!

أطال النظر إلى التلال وإلى القرية المستكينة في أحضانها، ولكن وجهه القاتم الكئيب وعينيه لم تتجاوب مع حرارة الشمس.. ثم انحنى ليطوي ساقيه اللتين ما زالتا تؤلمانه.

تباً للطبيب! تباً لرئيس التحرير! لولاهما لقام بما هو مفيد.. بدل الخوض في هذه الأودية التي لا مظهر للحياة فيها غير الخراف المملة المنظر. ولكن توتره زاد ألمه.

ماذا يفترض به أن يفعل هنا؟ لماذا سمح لنفسه بأخذ هذه الإجازة؟ إجازة! إنه لم يأخذ فرصة ولو قصيرة من عمله منذ خمسة عشر عاماً.

قال الطبيب له:

ـ أنت بحاجة إلى الراحة، وإن لم تسترح فلن أكون مسؤولاً عن العواقب.. تباً لك أيها الرجل، أنت متوتر كأوتار الكمان!

أخيراً وبعد جدال طويل، أذعن:

ـ حسناً.. سآخذ فرصة.. على أن تعلن عن صلاحيتي للعمل بعدها؟

ـ اسألني هذا بعد ثلاثة أشهر! ربما!

ـ ثلاثة أشهر؟ يا الله! ماذا يفترض بي أن أفعل في غضون هذه الأشهر الثلاثة؟

ـ خذ إجازة.. جد لنفسك ما يشغلك، مرّن هذه الساق.. امشِ، اسبح، احرث حديقة شخص ما.. إنما لا تعمل!

سأل يورك ساخراً: «وبماذا أشغل فكري في ذلك المنعزل الريفي؟»



رد الطبيب بحدة:

ـ شكراً لله لأنك حي تتمتع بذلك المنعزل.

ثم أضاف بلطف: «اسمع ويندهام، أعرف أنك متشوق للعودة إلى العمل. ولكنك ستقوم بعملك بشكل أفضل بكثير إن استرحت».

ثم جاء تهديد رئيس التحرير:

ـ إن لم تأخذ بنصيحة الطبيب، فلا عمل لك! لن أرسلك إلى أي مكان حتى تعمل برأيه أولاً.. فستصبح بحالتك هذه عبئاً علينا لا مساعداً.

حسناً.. في الأيام الماضية عمل بنصيحة الطبيب فراح يسير باكراً، ويعود متأخراً، إلى أي فندق أو نزل ريفي يختار النزول فيه.. لكن رغم حرارة الصيف، كان في سيره إلحاح لم يستطع تخفيفه.. عندما كان يجتاز هذه الأميال لم يكن يُفكر إلا في الشفاء الكلي.. ولكن فاته في خضم هذه الأفكار رؤية جمال التلال الخضراء والوديان السحيقة الجوانب.. مع ذلك، لم ينخفض مستوى توتره وبقيت ساقه تؤلمه، هذا إن لم تكن قد ازدادت سوءاً.

والأسوأ من هذا أنه سئم مع أن المنطق أخبره بأنه يقوم بالصواب.

فتح يورك بنفاد صبر باب السيارة مجدداً بحدة وجلس خلف المقود.. ثم شغّل المحرك، فانطلقت السيارة على الطريق الملتوية المرتفعة.. إنه لا يبقى في إنكلترا وقتاً كافياً.. لذا لا يفكّر في اقتناء سيارة جديدة.

لقد انتقى «نورثمبرلاند» لأن فيها عاش أسلافه، ولكنه لم يكن يضع في رأسه هدفاً محدداً.. في الواقع، كاد يمر بمفترق الطريق إلى هولسوك.. لكن موقعه الخفي أثار فضوله فانعطف إليه وهذا ضعف طالما قاده إلى مناظر أقل فتنة بكثير.

وما النفع؟

ـ أيتها المرأة البلهاء!
آه يا الله! ركبته تؤلمه!

• • •

أدارت بيلا الشاحنة وهي تفكر بالعمل الذي يجب إنجازه، ثم لمحت وهي تسير في طريقها سيارة الفورد النحاسية اللون القديمة المظهر تقترب. فجأة ترنحت الفورد التي اتجهت مقدمتها إلى حافة الطريق، أما بيلا فداست بسرعة على المكابح لتوقف السيارة التي أصبحت مقدمتها على بُعد إنشات من باب السيارة الأخرى.. عبر الزجاج استطاعت رؤية السخط على وجه السائق الآخر.

ظلت جالسة ما بدا لها دهراً.. مع أنها لحظة، لحظة فقط.. ترجل السائق من السيارة التي بدت وكأنها تدفنه في داخلها.. فقد راح يفرد جسمه ويستمر في فرده.. إنه حقاً طويل، لكن كم؟ إنها لا تستطيع أن تحزر لأنها جالسة.

عندما كان يتوجه إليها وهو يعرج، أنزلت النافذة ومالت إلى الخارج فإذا شعرها الأشقر الأحمر يشع تحت أشعة الشمس التي كانت حرارتها تحرق الرؤوس بلا شفقة أو رحمة. نظرت إليه شذراً عندما انحنى ليتطلع إليها. راحت عيناه السوداوان تتفرسان في وجهها وتمتمت: «أنا آسفة».

كانت تحلم كعادتها، ولكنها لم تكن واثقة إذا كان ما حدث بسبب غلطة منها وحدها.. لأنه كان يقود سيارته بسرعة كبيرة على هذه الطريق الفرعية الضيقة.

أشارت إلى الساق التي بدت أنها تؤلمه: «هل.. حدث لك هذا الآن؟»

رد بغضب إنما بصوت مهذب:
ـ لا.. لم يحدث هذا الآن.. ولا يعود الشكر إليك.. فإيقاف



السيارة بهذه السرعة آذاها كثيراً.. يا معشر النساء أنتن تذهلنني لأنكن لا تنظرن إلى أين تتجهن بسيارتكن خاصة في مكان كهذا حيث لا واجهات محال تلهيكن.

أيها الـ..! لماذا هو على هذه الدرجة من الفظاظة.. ألم تعتذر منه؟ وجدت بيلا أن ما جرى بسبب غلطة منها وغلطة منه ولكنه ليس من النوع الذي يعترف بغلطة. رفعت بصرها إليه متمنية الترجل من السيارة كي لا تبدو أقل شأناً منه.

قالت ببرود: «بما أننا لم نتضرر فلماذا لا تتراجع وتدعني..»

أجفلها برد سريع: «تراجعي أنت!»

ارتدّ على عقبيه ولكنه كان يعرج ببطء.. ثم رأته ويا للدهشة يشغل محركه.. للحظة فكرت في البقاء حيث هي.. ولكن الشاحنة الصغيرة كانت جديدة إذا ما قورنت بسيارته القديمة والمحطمة تقريباً.

سيطر عليها غضب شديد وهي تتراجع فراحت تراقبه وهو يحسّن وضعية سيارته ثم انطلق بدون أن ينظر إليها مجدداً.

قلبت الحادثة مزاجها وعكرته.. فشعرت بأنها ترتجف لذا ظلت لبعض الوقت واقفة في مكانها قبل أن تنطلق مجدداً إلى الفندق. ثم توقفت السيارة أمام مدخل المقهى العام.

وجدت، مع أنهم في شهر حزيران، الموقد مشتعلة في مقهى المطعم الذي كان فارغاً إلا من امرأة سمينة قليلاً، شعرها المصبوغ مرفوع إلى الأعلى.

صاحت إيلينا ستافورد ما إن رأت ابنة أخيها:
ـ أنت بيضاء شاحبة عزيزتي. هل عملت بشكل شاق في هذا الحر؟ لا أذكر صيفاً بمثل حرارة هذه السنة.

جلست على المقعد الخشبي الطويل أمام منصة البيع:
ـ لا.. أنا بخير.

طلبت الفطائر والمرطبات لها ولتشارلز. أضافت: «كدت أصطدم بسيارة قرب الكوخ.. وكم كان السائق الآخر قذراً بتصرفه».

انفتح باب المطعم مجدداً فصاحت بصوت منخفض:

- آه! يا إلهي! اذكر الذئب..

عرج الرجل الطويل نحوهما.. ثم نظر إلى بيلا ساخراً قبل أن يكلم إيلينا:

- كوب عصير، أرجوك.. وهل لي أن أرى لائحة الطعام؟

سألت إيلينا من وراء المنصة وهي عبارة عن قطعة خشبية من السنديان القديم:

- أنت غريب.. أليس كذلك؟

هز الغريب رأسه موافقاً فأضافت:

- جئت من مكان بعيد؟

رد باقتضاب:

- أعتقد أن لندن مكان بعيد.

نظر إلى لائحة الطعام ثم رماها من يده وقال وهو ينظر حوله:

- سآكل وجبة الفلاحين العادية.

قالت إيلينا وهي صاحبة فندق محترفة:

- أنت في عطلة هنا؟ ما هي مهنتك؟

وضعت الشراب والطعام أمامه على مرمى يده، فمدّ يده التي لاحظت بيلا أنها يد أنيقة، ناعمة، طويلة الأصابع.

استعدت إيلينا للحديث:

- ليس عندي عمل في الوقت الراهن.. هل لديكم غرفة؟

- أنت محظوظ.. لأننا لا ننشغل حقاً قبل تموز. كم ستمكث؟

ارتفعت إليها عينان سوداوان:

- آه! لا أدري! لبضعة أيام.. لأسبوع ربما. أجل.. أسبوع.



أدارت له دفتر تسجيل الأسماء العتيق:

- أنت في جولة إذن؟

- أجل.

كتب شيئاً بسرعة بخط واضح..

خاطبت إيلينا بيلا:

- اخدميني حبيبتي هذه الخدمة.. بينما أسخن لكما الفطائر رافقي السيد..

نظرت إلى الدفتر:

- السيد ويندهام إلى غرفته.. رقم ثلاثة.. تعرفين أين هي. أليس كذلك؟ لا أستطيع ترك المطعم وزوج عمتك يكره الخروج من مكتبه.

فرد ستافورد رجل خجول لذا يبتعد قدر الإمكان عن زبائن فندقه..

أضافت إيلينا تسأل:

- أليس لديك حقائب سيد ويندهام؟

- حقيبة صغيرة في السيارة.. أحب السفر خفيفاً، سأحضرها فيما بعد.

كانت الغرفة التي رافقته إليها في الطابق الأول.. دخلت إلى الغرفة قبله، وكانت على وشك المغادرة ولكنه كان يسد عليها طريقها. دخل وهو ينظر إلى ما حوله من خشب باهت مصقول ومن روافد خشبية سميكة ومن جدران مطلية بالأبيض.

- همم!

طنّ الصوت على الكثير.. لذا لم تستطع بيلا إلا أن تقول ساخرة:

- أعتقد أنك وجدتها مناسبة؟

- إنها بالتأكيد بعيدة عما أنا معتاد عليه.

تأهبت حواس بيلا لأنه تجرأ على السخرية من تجهيزات عمتها.

- أوه؟

- لا.. إنها أكثر مما أرغب.. لكنها تفي بالغرض، فأنا معتاد على فنادق متقشفة مياهها صدئة.

- إذن آمل أن تتمكن من دفع فاتورتك في نهاية الأسبوع.. فالعاطلون عن العمل لا يبقون طويلاً.

صمتت عندما ظهرت التسلية على وجهه.

- آه! أؤكد لك أنني غير محتاج إلى هذه الدرجة.

- حسناً سأتركك الآن.

في هذا الوقت كانت بيلا قد وصلت إلى الباب..

أجاب: «آه.. اسمعي آنسة.. آنسة: «رينولدز»».

- رينولدز!

دلّت رنة الإعجاب المفاجئ في صوته على رجل أكثر دماثة وقرباً:

- أنا آسف.. وآسف كذلك على فظاظتي معك.. قبل الآن. لم يكن ما حدث بسبب غلطتك.. بل لم تكن غلطة أحد.. أمور كهذه تحدث كثيراً.. إنني ويا للأسف منزعج من الحياة بوجه عام.. لكن لم يكن يحق لي الانتقام منك، لم يحدث أي ضرر.. إلا.. ساقي اللعينة التي تؤلمني أصلاً.

ردت بيلا: «لا بأس.. هل السبب حادثة سير؟»

أضاءت ابتسامة سريعة وجهه:

- أتظنينني معتاد على الحوادث؟ لكنني لا أقود كثيراً، ولا أزور الريف كثيراً.. لا.. ليس السبب حادثة، لكنها السبب في مجيئي إلى هنا.. أنا في إجازة مرضية.

ثم كرر آخر الكلمات ببطء: «إجازة مرضية!»

تحرك بانزعاج في الغرفة فراح يفتح الأدراج، ولكن تفكيره لم يكن



منصباً على ما يعمل.

أضاف: «الأطباء! أتساءل فيما إذا كانوا يعرفون معنى المرض الحقيقي؟ وأشك أن أحدهم شاهد ما هي المعاناة الحقيقية.. المعاناة التي تجري في بلدان محرومة مثلاً!»

سألت: «يبدو أنك على علم بهذا!»

رد باختصار: «أجل.. آنسة رينولدز، هل من شيء يمكن للمرء القيام به في هذا المكان المهجور عدا المشي؟».

لولا انزعاجها من وصفه السيء لبلدتها الحبيبة لوجدت كلامه مسلياً.. فهناك دائماً ما يمكن فعله في هذه القرية أو في هيكسهام نفسها.

قالت: «هذا وقف على ما تهتم به.. فبماذا تهتم؟».

فتح يديه: «عدا عملي؟ الله يعلم! إنه لا يترك لي أي وقت للهوايات.. كما قلت أنا هنا للاستشفاء.. قال الطبيب إنّ عليّ القيام ببعض التمارين.. ولقد جربت التمرين..».

صمت مكشراً بألم.. فأردفت بيلا عنه:

- لكن ساقك لم تساعدك؟

كان هناك ما لم تستطع تحليله.. وكأن لها حاسة سادسة تزيد من حدة تعاطفها وتجعلها تقلق. إنه لا يعرف!

- في مثل هذا الوقت من السنة، هناك طلب على العمالة العادية أحياناً.. وعلى عكس ما يبدو أنك مؤمن به، يمكن للحياة في الريف أن تكون نشطة جداً أحياناً، خاصة في الصيف.. لكن هذا يعني العمل الجسدي الشاق.

نظرت إليه بريبة.

مدّ ذراعه يعرض لها ساعده القوي العضلات:

- عدا قدمي، أنا قوي بما فيه الكفاية.. وأنا لا أخشى العمل

الشاق، ولو كنت أخشاه لخجلت من نفسي.. فعائلتي من الطبقة الكادحة.

قالت ببطء: «في هذه الحالة.. قد تعرف عمتي شيئاً.. لأن أذنها صاغية دائماً».

ابتسم وكأنه يكشر، وهذا ما أوحى أن ابتسامته غير عادية.

ـ همم.. أجل.. عمتك فضولية.

تصلبت بيلا من جديد:

ـ تحاول أن تكون لطيفة! وهي تحب مساعدة الناس..

ما كان يجب أن تبقى لتتحدث معه.. ارتدت على عقبيها لتتركه مع أن فضولها لم يرتوِ.

قالت إيلينا بعد عودة بيلا التي تمتمت أشياء عن العجرفة والفظاظة ونكران الجميل.

ـ إنه شخص غير تواصلي.. سيد يورك ويندهام هذا؟ أمر غريب.. لكن أتعرفين؟ اسمه يحرك في ذهني جرساً، ولكن سرعان ما سأتذكر. وإن لم أتذكر ما أريد سأطرح عليه أسئلة مباشرة.

ضحكت: «يقول لي عمك دائماً إنني فضولية جداً.. فرد شخص صموت، لكنه ليس سيئاً مثل ويندهام.. لا.. ليس من الطبيعي أن يكون المرء منغلقاً على نفسه هكذا».

اعترفت بيلا قائلة:

ـ كان منفتحاً قليلاً للتو، وقد اعتذر على تصرفه الفظ معي.

ـ حسناً.. ربما هو شخص غير سيء كلياً.. أتعرفين يا حبي، أشعر بالأسف عليه. نعم هو شخص جلف ولكنني أعتقد أن هناك شيئاً ما تحت سطحه القاسي. ترى في هذا المطعم كافة أصناف البشر.. وطالما قلت لعمك إن الناس الحقيقيين يثيرون الاهتمام أكثر من الذين يقرأ عنهم في كتبه العتيقة.. عمك قارئ! لا.. تذكري كلامي بيلا..



السيد ويندهام ليس كما يبدو.. المؤسف أنه شخص عبوس فلولا عبوسه لكان فاتناً مدمراً. أليس هذا هو رأيك أيضاً؟

قالت بيلا غير صادقة: «لم ألاحظ مظهره بشكل جيد».

هل بإمكان أحد عدم ملاحظته.. ماذا قالت عمتها اسمه الأول؟ تطلعت إلى دفتر التسجيل.. يورك ويندهام.. طوله وحده يجعله مميزاً! لكن قسمات وجهه السمراء الصادمة والكالحة ووجهه الدائم العبوس لا تخبر بوضوح عنه.. لكنها رأته يبتسم وكم جعلته الابتسامة مختلفاً.

سألت لأنها كانت ملهوفة إلى تغيير دفة الموضوع:

ـ كيف تسير الأمور مع دوريس في ثوب زفافها؟

* * *

## ٢ ـ الفتاة الكبيرة تقع

خطت بيلا بحذر من فوق اللوح الخشبي المهترئ وراحت تنفض من أمامها خيوط العنكبوت التي حيكت من جديد بعد آخر زيارة قامت بها. . جعلتها كثرة المشاكل في موقع السكن الجديد، تبقى هي وتشارلز بعيداً عن مزرعة «كوكشاو». . ولكنها الآن تمتلك الوقت اللازم لمشروعها المفضل. بالأمس نصبت سقالات العمل حول الجدران الخارجية لتتم التصليحات.

إن إصلاح هذا المنزل يعني عملاً لا يستهان به. . غرفتان في الطابق السفلي وأخريان في الطابق الثاني بحاجة إلى بلاط جديد وهذا يعني ردم كثير قبل بدء التصليح.

أقسمت بصوت مرتفع: «لكنني سأنجزها أبي».

ارتجفت شفتاها مؤقتاً وترقرقت الدموع في عينيها لأنها تذكرت أباها الذي مات بسبب السرطان الذي جاءه على حين غرة. . ولكنه ولله الحمد لم يعانِ طويلاً، أما هي فتفتقده كثيراً.

قالت لنفسها بحدة: «اخرجي من هذه الأفكار. . لن تحققي شيئاً من الكآبة والأسى على نفسك. أفضل ذكرى تقيمينها له هي بإعادة هذا المنزل إلى طبيعته».

لم يكن تسلق السقالة أو السير على ألواح الخشب الضيقة أمراً يزعج بيلا. . وهذا أمر تدربت عليه خلال دراستها للهندسة



المعمارية. . العمل الذي اختارته كان صعباً ولكنه لم يكن عملاً شاقاً كثيراً. . وهذا ضروري هذا المساء فعليها الذهاب مع داني إلى هيكسهام كما ينويان. .

ـ هاي! أنت هناك. . في الأعلى!

أدارت وجهاً حائراً ونظرت إلى الأسفل.

انزعجت الأسبوع المنصرم بسبب تفكيرها بضيف عمتها ولكنها لم تتوقع رؤيته مرة أخرى. فحسبما قالت إيلينا إنه حجز الغرفة لمدة أسبوع فقط، مع ذلك ها هو يحدق إليها بتكبر.

سألته: «ماذا تريد؟»

رفع رأسه الأسود الشعر ليرد عليها نظرتها.

ـ لماذا لا تنزلين إلى هنا لتعرفي؟ فأنا أكره أن أعلن عما أريد بصوت مرتفع وبمثل هذه الزاوية السخيفة.

ـ أنا مشغولة! من تحسب نفسك حتى تصدر الأوامر لي؟

جعلها اندفاع خبيث تضيف:

ـ ما دام الأمر ملحاً فلماذا لا تصعد إلى هنا؟

أدارت ظهرها إليه ولكنها لم تتوقع للحظة واحدة أن يعمل بنصيحتها. ولم تدرك أنه صعد حتى أحست بوجوده قربها فارتدت بسرعة لا تتطلبها دواعي السلامة في مثل هذا الارتفاع.

اشتعلت عيناها الخضراوان بغضب:

ـ ماذا تفعل؟ كدت تسبب لنا حادثة شنيعة.

ابتعد عنها قليلاً وهو يقول:

ـ يا إلهي! هذه أنت؟ من الأسفل ظننتك شاباً.

افترضت بيلا أنها غلطة معقولة. فهكذا تبدو وهي مرتدية بزة العمل والقبعة الواقية التي تعتمرها دائماً لحماية شعرها. .

أردف: «ماذا تفعلين هنا بحق الله؟»

- أعمل.. قلت لك إنني مشغولة.. والآن ماذا تريد؟

- اقترحت عليّ السيدة ستافورد المجيء إلى هنا.. لأسأل عن بيلا.. أتعرفين أين هي؟

- أنا إيزابيلا فماذا تريد؟

قال بعدم تصديق:

- أنت بيلا؟ رئيسة شركة بناء؟ لكن السيدة ستافورد لم تقل...

- أنا رئيسة الشركة منذ وفاة أبي.

منعته لهجتها العدائية من التعليق مجدداً:

- حسناً.. حسناً..

رفع يديه دلالة القبول.

أضاف: «أصدقك.. إنما لا تنظري إليّ هكذا.. فليس لدي أفكار متعصبة عن تفوق الرجل. بل أفضل أن تكون النساء مستقلات، مكتفيات ذاتياً.. والآن هلا تحدثنا.. في الأسفل؟».

رغبت مع أنه تكلم ببعض التواضع في تسجيل نقطة جيدة.

- رأسك لا يتحمل المرتفعات؟

رد بعدم اكتراث:

- لا تزعجني الارتفاعات.. ولكن هذا قد يأخذ وقتاً.

- حسناً.. سننزل إلى الأسفل.

تقدمت لأن المكان ضيق.. فراحت تفكر غاضبة: ماذا يريد منها؟ أهو مهتم بشراء المنزل؟.. لا هذا غير محتمل.. ألم يقل إن المكان لم يعجبه، لذا لن يرغب في امتلاك أرض ومنزل في «نورثمبرلاند»؟ لكن عمتها أرسلته إلى هنا.. لماذا لم تخبره أنها ابنة أخيها التي سبق أن قابلها.

عندما أصبح على الأرض، ارتدت تواجهه.. في لقائهما السابق، لاحظت أن قسمات وجهه عريضة قوية، يحيط بها شعر طويل قوي



أسود.. كانت أهدابه السوداء تخفي عينيه اللتين لا تفصحان عما يفكر فيه. ابتعدت خطوتين عنه.

- لماذا أرسلتك عمتي إلى هنا؟

- سبق أن قلت لك إنني بحاجة إلى عمل، وقد نصحتني بمقابلتك.

ردت بصوت بارد:

- لا أفهم عمتي.. فأنا لا أشغل عندي عمالاً عابرين.. خاصة منهم الغرباء.. أنت لا تبدو.. وكأنك تعرف طرف حجر آجر من طرفه الآخر.

- وهذا صحيح.. ففي مهنتي لا أحتاج إلا إلى مكتب. لكنني شخص قوي البنية، ذكي.. أتعلم بسرعة.. سيدتي.

رفع يده وكأنه يحاول رفع قبعة وهمية عن رأسه. قصد بحركته إرضاءها ولكنها أثارتها.. الآن بعدما تقبلها رجال أبيها كرب عمل اعتادت الإذعان لقراراتها.

- لن تتعلم عندي.. والآن هلا عذرتني!

أحست بيلا بالانزعاج فعادت إلى موقعها المشرف. راقبته يعود من حيث أتى في الوادي. لم يجادلها.. بل هزّ رأسه فقط، وتركها. يجب ألا.. هذا سخيف.. ولكنها تشعر بالذنب لأنها رفضت طلبه.. لم يتوسل ولم يتواضع، ولم يحاول التأثير فيها.. ولكنها تفضل الرجل العزيز.. وعرفت أنه رجل لا يسهل عليه أبداً طلب منّة.. مع ذلك أحست بحاجة في نفسه بدت أبعد من مجرد بطالة.

أحست بيلا بالتوتر لأنها ارتكبت غلطة. هزت كتفيها بعدم اكتراث وأعادت اهتمامها إلى ركام المدخنة.. تلك البقع في غرفة النوم الأمامية.. أجل.. ألواح الزوايا الموصلة للمدفئة مع السقف لا تعمل كما يجب.

بعد ساعتين سألت عمتها بشيء من السخط:

ـ ما الذي جعلك ترسلين إليّ ذلك الرجل الكريه؟

كانت تتناول الغداء عند عمتها في جناح عمتها.

أضافت: «ولماذا لم تخبريه من أكون؟».

نظرت إيلينا بغضب إلى ابنة أخيها:

ـ اعتقدت أن كرامته ستمنعه من الذهاب إلى فتاة وقبعته في يده.. ولكنه ليس بهذا السوء.. لم أعهدك تكرهين أحداً بمثل هذه السرعة.. أنت عادلة عادة مع الناس.

ـ حسناً.. لقد أزعجني.. فيه شيء ما يزعجني.. ربما طريقة تصرفه.. أو نظرته إليّ.. أو كلامه معي.. آه.. كل شيء فيه!

ـ بدأتما بداية سيئة، ولكنه اعتذر.

ـ ربما، إنما هذا لا يعني أن أمنحه عملاً.. ما الذي جعلك تظنين هذا؟

ـ أعتقد أن هذا في الأساس بسبب ما يسميه عمك شفقتي على كل «كلب أعرج» ولأنني أعرف أنك تشاركينني هذه الميول.. إنه يسير يومياً.. لكن الواضح أنه يتمشى من أجل شيء آخر غير المتعة.. لأنه يعود متجهماً أكثر مما كان قبل خروجه.. إنه كتوم ولكنني استطعت أن أعرف أنه ليس في عطلة بل في فترة نقاهة.. فقد نصحه الأطباء بالعمل خارج المكاتب. لذا فكرت أنك قد..

تأوهت بيلا:

ـ أعرف هذا.. لا تنظري إليّ هكذا.. تعرفين أن لا أحد قادر على مقاومتك حين تكونين حزينة هكذا.. على أي حال، ليس لدي عمل.

ـ ألا يمكنك إيجاد عمل؟

انفجرت بيلا ضاحكة، بشيء من السخط:

ـ عمتي! كيف أصبحت امرأة أعمال ناجحة، لا أدري.. «فإيجاد عمل» تصرف ليس اقتصادياً أبداً.



وقفت: «شكراً للغداء.. أشكرك لأنك تركتني أتناوله هنا بدل تناوله في «المكان العام» فلم أكن أرغب في المخاطرة بمقابلته».

ـ إذن.. لن تغيري رأيك؟

قالت بحزم: «لا.. آسفة.. لكن «لا» بكل تأكيد».

* * *

قال لها داني ردهوت ذلك المساء:

ـ تبدين رائعة كالعادة! لا أعرف كيف تفعلين هذا بعد العمل الجسدي الشاق طوال النهار.

ـ وأنت تعمل جاهداً كذلك.

قال بكبرياء: «أجل.. ولكنني رجل.. وبنية الرجل تختلف عن بنية النساء.. والحمد لله!».

كشفت تعابير وجهه وهو يقوّم أنوثتها ما يعنيه حقاً.

طالما أحست بيلا بشيء من التوتر لأن داني يفترض أن الفارق بين الجنسين يجب أن يؤثر في قدرتيهما على العمل الشاق.. لكنها لم تقل شيئاً.. إنها الآن تريد الاستمتاع بوقتها.. وتريد إبعاد صورة يورك وشعاعم عن ذهنها.. تباً لهذا الرجل! فبدون أن يقول كلمة واحدة نجح في إشعارها بأنها مذنبة.

سألها داني وهما يستمعان إلى أنغام هادئة:

ـ قرش لأعرف أفكارك.

ـ لا تستحق القرش، كنت أفكر في شخص طلب مني اليوم عملاً.

شعرت فجأة بأنها بحاجة إلى من تستشيره لتعرف إن قامت بالصواب.

ـ رفضته كما أعتقد.. هل هو شاب محلّي؟ ما عيبه؟

ـ إنه ليس من هنا.. زائر يريد عملاً عابراً. ولكنني لا أستطيع استخدامه.

لم تستطع أن تقول إن عيبه الوحيد هو أنه يزعجها وأنه يجعلها تضطرب، والأنكى أنه يثير اهتمامها ويسحرها.. سحر ظنته نفوراً..

قال داني: «لماذا لم ترسليه إليّ؟ نستطيع دائماً أن نجد عملاً ليدين قويتين.. إذا رأيته مجدداً..».

قاطعته بسرعة: «لن أراه».

هذا صحيح.. لأنها على الأرجح لن تراه بل تأمل ألا تراه..

ـ فلننس العمل لبضع ساعات.

من المؤسف أنه اختار تلك الليلة لذكر موضوع الزواج.. فلم يكن مزاجها رائقاً وهذا ما جعل مزاجها غير رومانسي.. عرفت من تعابير وجهه أنه انزعج لأنها استقبلت طلبه بتردد. نظرت إليه وهما في السيارة:

ـ آه! داني.. أنا.. أنا.. لم أتوقع.. أعني..

بدا منزعجاً:

ـ ألم تدركي أنني سأطلب يدك يوماً؟ ما هو برأيك سبب علاقتنا في الأشهر الستة الماضية؟

ـ لا يتواعد المرء دائماً والزواج يشغل فكره!

ماذا دهاها..؟ منذ يوم أو يومين كانت تفكر فيما إذا كان سيطلب يدها.. مع ذلك ها هي الآن تتصرف وكأنها تصرفه عنها.

رد بحدة: «حسناً.. كنت أواعدك والزواج في ذهني، لكنني لم أرغب في ذكره بسرعة، لئلا تظني أنني أستعجلك.. لكنني رغبت في الزواج بك منذ وقعت عيناي عليك.. وخلتك تعرفين هذا.. أنا أحبك.. أعتقدت أنك تحبينني.. هل من شخص آخر؟»

ـ لا.. بالتأكيد لا.. وأنا.. أعني.. مولعة بك طبعاً.. ولكنني غير واثقة كلياً.. أنا..

صمتت وشعرت بأنها غير قادرة على فهم سبب ترددها الغريب. لو



طلب يدها منذ أسبوع لما ترددت هذا التردد كله.

قال داني: «حسناً.. أنا واثق».

وكأنما هذا هو كل المهم حقاً. وأخذ يتودد إليها بكلمات رقيقة وكأنه يريد بذلك تأكيد تمسكه بها وتليين إرادتها.

أجابته:

ـ لا تفعل هذا داني! أنا آسفة.. لكن مزاجي سيء الليلة.

سأل بصوت أجش: «ماذا.. ماذا دهاك؟»

ـ لا.. لا شيء.. الأمر فقط.. أن عليّ اتخاذ قراري بنفسي.. لا.. لا يمكنك إجباري.

ـ قرار! إجبارك! إذا كنت تحبينني فلا مجال لأي منهما.. يجب أن تعرفي.

ـ حسناً.. أنا لا أعرف داني.. ليس الآن، يجب أن.. أن أفكر.. اسألني بعد بضعة أيام.

استعاد مرحه فجأة، وابتسم مراضياً:

ـ أنا لا أفهم النساء! سمعت أن بعضهن يحبين لعب دور صعبات المنال لإبقاء الرجل في حيرة من أمره. أعتقد أنهن يجدن هذا مثيراً.. حسناً.. سأسألك مرة أخرى. ولكن عندئذ لن يكون لديك مجال للتلاعب.. هه؟

آه! أساء فهم موقفها لأنها تكره أيضاً النساء اللواتي يتلاعبن بعاطفة الرجال.. فهي عادة مستقيمة وصادقة. ولو كانت واثقة من مشاعرها تجاه داني لقالت له. ولكنها اكتشفت أنها غير واثقة، وهي فعلاً بحاجة إلى وقت لترتب مشاعرها المشوشة. على أي حال، عندما يسألها مرة أخرى، ستكون قد تخلصت من الشكوك غير المتوقعة والمخاوف، وستكون قادرة على إعطائه الرد..

* * *

أمر عجيب.. فبعدما قالت لعمتها إنه ليس لديها عمل شاغر اكتشفت بيلا في الصباح التالي أن أحد العمال غير الماهرين تعرض لحادثة، وهذا يعني أنه لن يعمل عدة أسابيع.

قال تشارلز: «هل تريدين مني أن أذهب إلى مركز العمل حبيبتي؟ سأرى إن كان بالإمكان إيجاد أحد؟».

ردت بسرعة: «لا.. أعتقد أننا نستطيع تدبير الأمور».

تصورت بسرعة النتائج المحتملة.. بطاقة طلب على لوحة مركز العمل، سيراها يورك ويندهام وسيتقدم للوظيفة.

* * *

لم يكن من غير العادة أن تعمل بيلا ستة أيام في الأسبوع خاصة عندما تكون مهتمة حقاً بالمشروع. ولكن للأحد رونينه الخاص.. في الصباح، تحضّر. بعد الظهر تذهب للتنزه سيراً على القدمين.. وهذا الأحد ليس استثناء.

كانت الأراضي الريفية حول هولموك مفتوحة لكن بيلا سارت في هذه الحقول منذ نعومة أظفارها.

قالت إيلينا إن يورك ويندهام لا يبدو مستمتعاً بنزهته.. ولكن كيف بإمكان أحد عدم الاستمتاع بهذه المناظر الرائعة وبهجة السير على العشب الندي ثم العودة إلى السير فوق ممر وعر! إنه بلا ريب عديم المشاعر والخيال.. لكنها نسيت أن تفكر في الجهد الذي بذله لإقناع داني بالسير معها.. داني شاب مديني بطبيعته يسعده الذهاب إلى المطعم، أو إلى السينما أو إلى المسرح، ولكنه كان يقول إنه بعد أسبوع عمل، يفضّل شيئاً يريحه غير المشي.

تباً! لم تأت إلى هنا لتفكر في يورك ويندهام.. لكن فيه شيء ما يجعلها تضطرب. لم تتمكن من نسيان آخر مواجهة بينهما.. وكرهت ذلك القلق الذي يثيره فيها تفكيرها فيه.. لن تفكر فيه! لقد جاءت إلى



هنا للهدوء والعزلة.. ومن الأفضل لها أن تشغل نفسها بالتفكير في عرض داني.

عمّ الضباب المنطقة في هذا الوقت من النهار.. كانت تسير وحيدة وهذا ما أوصلها إلى التلال المرتفعة المشرفة وإلى المراعي. كالعادة في رحلة العودة، كانت متعبة ولكنه تعب لذيذ.. ما أكثر ما اجتازت هذه المسافة وما أكثر ما تفاخرت بقدرتها على الوصول إلى القرية في خمس دقائق من الزمن.. لذا لم تكن مسرورة لاضطراب موعدها.

رأت الطيف المتقدم نحوها قبل أن تعرف من هو.. عندما عرفته تحركت أنه يورك ويندهام. كان الوقت قد تأخر كثيراً لتتجنبه، ولكنها أملت أن تتجاوزه بعدما تلقي عليه تحية قصيرة. لكن يورك فكر في أشياء أخرى على ما يبدو.. إذ سد عليها الطريق فوق ممر الماشية الذي كانت تسير فوقه ووقف على مقربة منها.

- مساء الخير آنسة رينولدز.. لم أكد أعرفك وأنت بدون ثياب العمل.

توردت وجنتا بيلا المتوردتان أصلاً بسبب حرارة الشمس.. أحست فجأة أن سروال الجينز الذي ترتديه والكنزة يظهران جمال جسمها.. وهذا واقع لم يغب عن نظره.. وكان هذا واضحاً بسبب الطريقة التي كان ينظر فيها إليها من فوق إلى تحت.

- هل سرت كثيراً اليوم؟

- حوالى أحد عشر ميلاً.. عذراً سيد ويندهام، لكنني على عجلة من أمري.. لا شك أن أمي تنتظرني للعشاء..

- طبعاً.. هذه قلة تقدير مني..

ولكنه ويا لخيبة أملها، لم ينتح جانباً ليسمح لها بالمرور.. بل رافقها في سيرها.. وأملت ألا يطلب منها عملاً.

سألها بفضول: «هل أنت مهندسة معمارية مؤهلة حقاً؟ أنت حقاً

ترصفين الحجارة وما إلى ذلك؟».

ـ هذا صحيح.. أنا بالتحديد مهندسة بناء لكنني أستطيع القيام بأعمال أخرى في مجال البناء كذلك.

ـ مهندسة بناء؟ من أين اكتسبت هذه المهارة؟ على ركبتي والدك؟

أغاظها الوصف.. فما زال موت والدها يحفر جرحاً عميقاً في قلبها.

ـ الذي حدث أن والدي علمني أموراً كثيرة.. ولم يكن لديه أفكار سخيفة عن مكانة المرأة.

ـ وأنا أيضاً.. الواقع أن النساء اللواتي أعجبت بهن كن عاملات يعتمدن على أنفسهن.. مثل أمي وجدتي.. لكن.. تابعي كلامك.

ـ إضافة إلى ما علمني إياه أبي تلقيت علومي في الدراسة في كلية العمارة ومن التدريب مع مؤسسة بناء كانت تعمل على إصلاح «كاتدرائية ويلز». أخيراً درست سنة في الهندسة وتاريخ الفن.

وهذا ما سيخلصني من تصرفك المتفاخر سيد ويندهام!

ـ لديك درجة جامعية في العمارة؟

بدا وكأنه بحاجة إلى تصحيح نظرته إليها.

هزت رأسها: «قال لي والدي إنّ عليّ تشرّب المهنة من الدراسة وإن عليّ اغتنام الفرص التي لم يوفرها له أبواه».

ـ لدى والدك وجدي أشياء مشتركة.. لقد كان معلماً كبيراً ليس فقط في المهارات التي يمتلكها، بل في الحياة عموماً.. وأعرف أن أفكاره لونت أفكاري كثيراً.. لكن، قولي لي كيف يشعر الرجال وهم يتلقون الأوامر من أنثى؟

ردت بهدوء: «أعتقد أنني اكتسبت احترامهم، فأنا أجيد مهنتي وهم يجيدون مهنتهم أيضاً».

ـ لكن ماذا عن الأعمال الثقيلة؟ أعرف أنك فتاة كبيرة الجسم،



لكن..

لم يكن باستطاعته قول شيء أكثر من هذا لإغاظتها.. ولم يكن سخطها على كلماته لكن جو التسلية الذي بدا عليه عندما تلفظ بذلك جعلها تتصور أمها تقول: ألم أقل لك هذا؟ ليتها سمعته ورأت البسمة الساخرة على وجهه.. طالما أصرت جويس رينولدز على أن الرجال يحبون النساء «الأنثويات» اللواتي يقمن بأشياء «أنثوية».

ترددت في خطواتها ملهوفة للخلاص منه.. جعلها الانزعاج غير حذرة على غير عادتها، فاصطدمت بصخرة ناتئة وهذا ما أوقعها أرضاً.. ولكنها شعرت فعلاً بألم حاد في كاحلها.

سألها: «آذيت نفسك؟»

ـ إنه كاحلي على ما أعتقد.

ـ أيمكنك الوقوف عليه؟

مد يده ليوقفها ولكنه رأى ألمها:

ـ الواضح أنك غير قادرة.. اجلسي، اسمحي لي بإلقاء نظرة، لدي بعض الخبرة في هذه الأمور.

في داخلها ما توتر يذعر من فكرة اقترابه منها.

ـ لا! سأكون على ما يرام بعد دقيقة. بل تقدم منها يساعدها.

لكنه لم يتراجع.. على الجلوس على جذع شجرة مكسور، وانحنى على ركبة واحدة، سبب لها منظر رأسه الأسود الشعر وهو ينحني إحساساً غريباً.. ثم بلطف، عاين المكان المتورم وسألها:

ـ أيؤلمك هذا؟ هذا؟

همست بصوت أجش وهي تعض على شفتها بقسوة:

ـ أجل.

ـ همم.. احمدي الله لأن المسافة غير بعيدة.. عليّ أن أساعدك.

قالت بحدة مرة أخرى:

ـ لا! لن تتمكن من هذا.. قد يؤذيك استنادي إليك. أنسيت حجمي؟

تجاهل احتجاجها وأوقفها مرة أخرى على قدميها.

بدأ يسير بجانبها على مهل وهي تستند إلى كتفه.

قالت بضعف: «شكراً لك».

بدت أنفاسها وكأنها مكبوتة، ورغم ترددها وجدت أنها تتعجب من مساعدته لها.

أضافت: «يجب ألا أستند إليك.. أنت مريض».

قال: «أنا ممنوع من مواصلة العمل بسبب ساقي ولست مريضاً».

استطاعت وهي مستلقية بين ذراعيه، رؤية تفاصيل وجهه الجانبية واستطاعت أيضاً رؤية منابت شعر لحيته النامية قليلاً. ورأت ندبة صغيرة على مقربة من حدود الشعر لم تلحظها من قبل.

ولكنها لم تستطع رؤية شعر أبيض في شعره الأسود الطويل. عمتها على حق.. إنه جذاب جداً.. إنما بطريقة نظة جافة..

لا شك أنه لاحظ انغماسها بمراقبته إذ نظر إليها، وانفرج فمه الجذاب عن ابتسامة قصيرة.. أحست بيلا بقلبها يخفق بشكل غريب، وراحت تعترف رغماً عنها أنه لا يملك فقط تقاطيع جذابة بل قوة وجاذبية جسدية أيضاً.

قال: «لم يعجبك وصفي لك «بالفتاة الكبيرة» أليس كذلك؟ أكنت تفضلين مدحاً غير صادق؟ ما هو الغلط في قول الحقيقة؟».

ـ لا شيء!

ـ لو أكدت لك أن ملاحظتي لم تكن تعني إغضابك وأنني لا أؤلم أحداً عن قصد خاصة امرأة؟

من الصعب في وضعها هذا أن تهز كتفيها، لكنها استطاعت.

ـ أنا لا أهتم أبداً بما تعني.



ولكنها في الواقع صدقته، وأعجبت به من أجل هذا.

ضحك ضحكة خشنة قصيرة.

ـ قد تكونين أو لا تكونين، امرأة أعمال صادقة آنسة إيزابيلا رينولدز.. ولكنك كاذبة.. تعرفين جيداً أنني أجدك جميلة.. بل جميلة جداً في الواقع.. وأنا أحب أن تكون نسائي مهيبات الجمال.

بدأت تحتج بسخط:

ـ أنا لست من...

لكنك بالتأكيد مثلهن.

بكل تأكيد لم تتوقع منه أن يجيبها بهذا القول ولم تتوقع تأثير هذا فيها.. لقد شعرت بالإهانة، فلم يسبق لها ان اختبرت مثل هذه المشاعر التي تقارب العذاب.

* * *

Rewity.com

## ٣ ـ في دائرة الخطر

صاحت ساخطة: «أووه.. ! هل أنت معتاد على التودد إلى إهانة نساء لا تعرفهن؟»

لم يكن هذا ما كانت تنوي قوله، لكنها أحست بالارتباك.. هذا الرجل خطر على النساء بل هو أخطر مما تشعر أنها قادرة على أن تتعامل معه.

رد عليها: «حين يكن جميلات فقط».

ـ هه!

عرفت أنه يسخر منها.. يورك ويندهام صاحب حنكة وخبرة.. وتعرف هذا الآن، وهي ليست من فلكه.

ـ أرجوك.. دعني وشأني.

كانا قد وصلا على مرأى من شاحنتها المتوقفة في فناء فندق «ستاغ».

لكنه تجاهلها وظلت تستند إليه أمام أعين الناس المحتشدين في المطعم، ثم أجلسها في مقعد خشبي مصنوع من السنديان.

تحوّل ذهول إيلينا ستافورد إلى قلق لأنها أدركت أن ابنة أخيها مصابة، فسارعت بانفعال لتحضر الضمادات والكمادات الباردة..

قالت: «ربما يجب أن تذهبي لتصويرها بالأشعة؟»

قال يورك بثقة تثير الأعصاب:



ـ لا أظن أن هذا ضروري فما هو إلا التواء بسيط.

كانت بيلا تهمّ بقول الشيء عينه، لكن صرفه النظر عن أهمية إصابتها التي كان هو المسؤول عنها، أسخطها..

سألت بحدة: «كيف تكون متأكداً؟».

هز كتفيه:

ـ لدي خبرة كبيرة بالإسعافات الأولية فعلى من يمتهن مهنتي أن يكون مستعداً للتعامل مع أي طارىء مفاجىء.

رفعت إيلينا حاجبيها، ورفعت رأسها المصبوغ باللون الكحلي:

ـ أوه؟

وكان هذا أبلغ من أي سؤال، لكن يورك لم يهتم.. بل مد يده إلى الضمادات ثم ركع عند قدم بيلا وراح يربط الكاحل المتألم بكفاءة.

ثم قال: «سأقلّك إلى منزلك، أين المفاتيح؟»

صاحت: «لا حاجة لهذا.. حقاً».

ـ بل هناك حاجة، فلو اضطررت إلى دوس المكابح فجأة لشعرت بالألم.. والأسوأ أنك قد لا تتمكنين من إيقاف السيارة فيعرضك ذلك لحادثة.. ألا توافقينني الرأي سيدة ستافورد؟

ساندته إيلينا رغم رؤيتها الغضب الذي يستولي على بيلا.. أما هو فلم يقف ولا دليل يدل على التنازل بانتظار مفاتيحها. رافقتهما إيلينا إلى الشاحنة وتأكدت من سلامة ابنة أخيها في مقعد الشاحنة الأمامي.

انحنت وفمها قريب من أذن بيلا:

ـ تعرفين.. هذا أطول حديث سمعته من السيد ويندهام منذ وصوله إلى هنا.. كيف جعلته ينطق بهذا كله؟

ـ أووه.. لقد تكلم كثيراً معي..

صمتت عندما قالت عمتها بصوت جاف: «حقاً؟»

ـ لكنني كنت أفضله لو امتنع عن الكلام.

بدت الرحلة إلى هيكسهام رحلة لا تنتهي لبيلا.. كان بورك خلالها صامتاً، ولم تعرف ما إذا كان السبب شعوره بالراحة أم الانزعاج.. لا شك أنه نسي ما حدث وهو يمشي بجانبها والذي هز الدنيا من حولها لقد بدا معتداً بنفسه بشأن عادته في معرفته للنساء الجميلات.. النساء الجميلات كما قال.. تساءلت بيلا المتواضعة: «لماذا عانقها إذن؟»

سألها فجأة: «أيؤلمك كاحلك؟»

خرجت من تأملها مجفلة:

ـ ليس كثيراً.. انعطف من هنا إلى اليمين.. ثم إلى اليسار..

أدار بورك الشاحنة الصغيرة تحت القنطرة التي تحمل اسم «رينولدز وأولاده» وكانت بيلا في منتصف الطريق للخروج حين دار حول السيارة قاصداً بيلا.. أطلقت صيحة رفض عندما حاول مساعدتها على الخروج.. إنها لا تريد منه أن يقترب منها.. على الأقل حتى تتمكن من الخروج من صدمة المرة الأخيرة، والتغلب على حرج معاملته هكذا أمام الناس.

صاحت جويس رينولدز حالما رأت قدم ابنتها المضمدة:

ـ بيلا؟ ماذا جرى؟ تعرضت لحادثة! كم مرة طلبت منك عدم التجول في تلك التلال الوعرة بمفردك؟ إن ذلك لأمر خطر.

سارع بورك يطمئنها:

ـ لا بأس في هذا سيدة رينولدز.. لم تصب بضرر.

لا.. لم أصب بأي ضرر.. في قدمي، ربما.. لكن شيئاً بالتأكيد يكاد يدمر كياني وجسدي.

قالت جويس: «لطف منك سيد.. سيد..».

ـ بورك ويندهام.. أنا ضيف في فندق شقيقة زوجك.

ـ حسناً.. تفضل سيد ويندهام.



كانت عينا جويس مشغولتين بالتنقل بينه وبين وجه بيلا العابس المتورد.

لم يبدُ على عجلة من أمره.. هذا ما فكرت فيه بيلا ساخطة.. ثم تأكد لها ذلك عندما جلس بلا دعوة على الأريكة إلى جانب بيلا وراح ينظر إلى ما حوله باهتمام لم يخفه.

قالت جويس: «كنت بانتظار بيلا لأسكب وجبة الطعام، هذا إن لم تجد. هل ترغب في تناول الطعام معنا سيد ويندهام؟».

صاحت بيلا في داخلها: لا! آه.. أرجوك.. أرجوك ربي.. اجعله يرفض.. ولكنه بعد نظرة حادة إلى قسماتها المشدودة، قال العكس:

ـ يسرّني ذلك.

قالت جويس وهي تقدم الطعام:

ـ أخشى ألا يقارن هذا الطعام بطعام الـ «ستاغ».

ضحك بورك.

ـ عزيزتي السيدة رينولدز، أنت تبالغين وإن لم تكوني تبالغين أؤكد لك أن جهازي الهضمي يتقبل الحديد.. لو رأيت بعض الأماكن التي وصلني عملي إليها، لعرفت أنني أشعر بأنني محظوظ لأني أتناول الطعام بغض النظر عن نوعيته.

سألت جويس بفضول: «هل هذا صحيح؟»

لكنه استمر في الكلام بصوت منخفض مفكراً، بحيث ارتابت بيلا في أنه لا يدري أنه يتحدث بصوت مسموع.

ـ من الصعب أحياناً تقبل واقع أنك موجود هناك كمراقب فقط.. وأنك عاجز عن تقديم يد المساعدة وأنك بعد بضع ساعات ستكون في أمان نسبي وراحة. أما هم فستبقى أمورهم على حالهم.. ربما إلى ما تبقى من حياتهم.

قالت جويس: «لا أريد أن أكون فضولية، لكن الواضح أن عملك يدفعك إلى السفر خارجاً فهل تعمل في النجدة من نوع ما؟»

- لا أقوم بعملٍ بمثل هذا النبل.. أنا مجرد كاتب مأجور.

تأثرت الأم، وعرفت بيلا هذا:

- كتب؟

- مراسل صحفي.

- هذا مثير للاهتمام.

- إنه عمل مثير بكل تأكيد! لكنه ليس موضوعاً يردد على مسامع سيدة على مائدة العشاء.. وأنا لا أتحدث عن هذا كثيراً على أي حال.. إن الكتابة عما أراه تنغصّ عليّ عيشي.

انجذبت بيلا إلى الحديث رغماً عنها فقالت:

- مع ذلك لا تلبث أن تعود للحصول على المزيد؟

بدا صوته وكأنه يسخر من نفسه:

- آه! أجل! يبدو أنني بحاجة إلى الأدرنالين الذي توفره تلك الأماكن.. جنون.. أليس كذلك؟ وها أنذا أكره الأسابيع التي أنا مضطر فيها للابتعاد خلالها عن المجاعة والحروب!

سألت جويس: «إذن، عملك ينقلك إلى أماكن خطيرة؟»

- حروب، حروب أهلية، ثورات، مقابلة ديكتاتور وصل إلى السلطة بالقوة.

سحبت نفساً بحدة: شيء مذهل.. لكنه أمر يبعث القلق كثيراً في نفس عائلتك! ألا تقلق عليك زوجتك..؟»

- لست متزوجاً.

قاطعها بصوت أجش ساخر.. فهو يعرف أن هذا ما ستسأله عن النساء عاجلاً أم آجلاً.

أضاف: «تزوجت يوماً ولكن زوجتي لم تستطع تحمل نمط



حياتي. ولكن ذلك كله عائد إلى الماضي.. لقد ذهب كما ذهب الأمس وأخباره. أما الآن فلست مرتبطاً عن قصد.. فهي أفضل طريقة لرجل مثلي.. صدقيني».

سألت جويس بعدم تصديق: «أبداً؟ أبداً؟»

- أبداً.. مات جميع أفراد عائلتي.. أما التورط مع امرأة بشكل جاد فأمر أتجنبه.. فكلما تقرّبت مني امرأة كثيراً، أقطع العلاقة وأهرب.

قالت جويس بحكمة: «تخاف أن تلدغ من جحر مرتين؟»

بدت التسلية عليه: «لا.. فأنا أقنع نفسي أنني أكبر وأقوى من أمور كهذه، وأنني لا أريد إيلام امرأة أخرى.. وهذا ما فعلته مع زوجتي السابقة».

كأنما يورك أحس أنه كشف أكثر مما ينبغي عن نفسه.. إذ ما إن أنهى طعامه حتى بدا مستعجلاً على الرحيل.

شكر جويس التي ردت:

- لا.. شكراً لك سيد ويندهام لأنك أعدت بيلا إلى المنزل سالمة.. إذا كان هناك ما نستطيع تقديمه لك فرجاء لا تتوان عن طلبه.

- حسناً سيدتي لن أتوانى أبداً.

فيما كانت الكلمات معلقة في الهواء، تسمرت عيناه بسخرية على وجه بيلا الذي ظهر عليه تأنيب الضمير، وعرفت في ما يفكر: الطلب الذي رفضته.

تركته يصل إلى الباب، ثم قفزت على قدم واحدة نحوه.. عليها أن ترضي ضميرها.

- سيد ويندهام.. إن كنت راغباً في العمل فأنا..

- نعم ما زلت راغباً.

- أظن أنني قادرة على مساعدتك فقد أصيب أحد العمال بألم في

ظهره.. إن رغبت في العمل لبضع ساعات..

قاطعتها جويس ساخطة:

- إيزابيلا.. ولماذا يريد السيد ويندهام العمل عندنا؟ لديه عمله، أضيفي إلى هذا..

قاطعها بورك بسرعة:

- لكنني لا أعمل حالياً بسبب مرضي.. وقد أمرني الطبيب بالتمرن في الهواء الطلق.

ابتسم ابتسامة ساحرة:

- أنا أكره السير فقط إلا إذا كان معي رفقة مسلية.

انخفض صوته، ونظر باهتمام إلى وجه بيلا القرمزي.

كادت تصيح وهي تسأل: «حسناً! أتريد العمل أم ترفضه؟»

مد لها يده: «بكل تأكيد.. هل نتعاهد على هذا.. رئيسي؟».

بسبب مراقبة جويس لهما وبسبب السخرية البادية في عينيه السوداوين، لم تستطع بيلا سوى النظر إليه..

سأل: «غداً؟»

تلعثمت: «أجل.. حسن جداً».

ليته يبعد نظره عنها ويرحل، فقد بدا وكأنه يدرس معالم وجهها.

ولأن نظراته لم تفارق وجهها شعرت مجدداً بذاك الإحساس الداخلي المثير للحيرة.. لكنها كتمته ونحته بعيداً عن تفكيرها حتى يتسنى لها الوقت لتفحصه بدون تأثيرات خارجية.

ما إن أقفل الباب حتى صاحت جويس:

- يا إلهي! يا له من رجل! لكن ما يحيرني أن يرغب رجل ذكي مشهور مثله بالعمل عندك. فهو قادر على القيام بما يريد.

- ذكي؟ مشهور؟

سألتها أمها ساخرة:



- ألم تعرفيه؟ لقد عرفته ما إن قال إنه كاتب. عرفت أنني رأيت وجهه من قبل.. الغريب أن عمتك لم تتعرف إليه.. وهذا يدل على أنك لا تقرئين كثيراً.. في المرة القادمة التي تذهبين فيها إلى فندق عمتك انظري إلى كتب عمك فرد.. فصورة بورك ويندهام على غلافات كتبه.. ويا لها من كتب! لديه على الأقل نصف دزينة.. وهذه الكتب جميعاً نالت أفضل المبيعات.

- ما طبيعة كتبه؟

- إنها قصص.. معظمها سياسي ولكن يشوبها الحس الاجتماعي. تدور أحداث آخر كتبه عن التمييز العنصري.. تصوري رجلاً مثله يريد العمل عندك.. والأكثر من هذا أنه يريد عملاً يدوياً.

- أنت حائرة بسبب رغبته في العمل وأنا عرفت السبب. لكن ما لا أفهمه لماذا روى لنا فجأة كل هذا.. أعني تجنبه النساء والتورط معهن..

سألتها أمها ساخرة:

- ألم تعرفي؟ كان السبب واضحاً لي.. إنه يحذرك لتبتعدي عنه.

- يحذرني؟ ماذا تعنين؟

- يا ابنتي العزيزة.. وجهك يكشف كل أفكارك. والواضح أن الرجل سحرك.. وهو خبير لذا لاحظ ذلك.. ويبدو أنه لا يريد منك التفكير فيه كثيراً.. لا يريد إذا فكرت فيه أن تفكري فيه بشكل جاد.

احتجت بيلا: «أمي! وكأنني بدأت أواعده.. إنه أحد زائري فندق عمتي فقط. ورجل ابتزني تقريباً لأمنحه عملاً لا يحتاج إليه بكل تأكيد.. وإن كنت لا تستطيعين الحكم عليه عن طريق السيارة التي يقودها.. يا الله!». صدمتها الفكرة: كيف سيعود إلى هولموك؟ لماذا لم تفكر في هذا عندما أقلّها إلى منزلها؟ قطبت مفكرة.. أين وضع حقائب الشاحنة؟ لا تذكر أنها رأته يضعها في مكان ما ولم يعطها

إياها . . ساورتها ريبة مفاجئة جعلتها تهب على قدم واحدة لتلقي نظرة على الخارج . لكنها لم تجد الشاحنة . . صاحت بغضب لجرأته!

جاءها زائر غير متوقع ذلك المساء . . داني . إنها لا تراه عادة أيام الأحد، ولكنه بدا في مزاج سيء . ثم اكتشفت السبب بسرعة .

بادرها بالهجوم حتى بدون أن يسألها عن سبب جلوسها وقدمها المضمدة مرفوعة أمامها .

ـ بيلا . . ما هي لعبتك؟

لم تعرف عما يتكلم وارتفع حاجباها دهشة، لكن هذا زاد غيظه :

ـ لا تحاولي التظاهر بالبراءة . . لا عجب أنك لم تعطني رداً مباشراً تلك الليلة . . كنت تخدعينني!

صاحت : «هذا غير صحيح! ما الذي أوحى إليك بهذه الفكرة؟» .

ـ ما شاهده أبواي هذا المساء في هولمواك . . في الستاغ .

تذكرت بيلا بحر الوجوه المهتمة ولكنها كانت متألمة كثيراً ومرتبكة كثيراً لذا لم تتعرف إليهما .

ـ آه!

ـ لا يمكنك الإنكار! لقد رأياك!

ـ رأيا أن أحد ضيوف عمتي يساعدني . . لقد وقعت و . . .

ـ وحدث أنه كان موجوداً ليهب إلى نجدتك؟

ـ أجل .

ـ ويا له من كلام مقنع!

ـ هذا صحيح! ولولا مساعدته لكنت الآن هناك مرمية على الأرض عاجزة عن الحراك . . لو كنت تفكر فيّ كثيراً كما تدعي لما قفزت إلى استنتاجات خاطئة . . وقل هذا لأبويك كذلك!

لم تكن بيلا مقتنعة ما الذي أقنع داني أهو سخطها الظاهر أم رغبته في الاقتناع ولكنه بدأ يهدأ واعتذر في النهاية عن شكه فيها . . لكن هذا



أشعر بيلا بالريبة بشأن داني وشخصيته .

وبخت بورك في الصباح التالي لأنه أخذ السيارة .

ـ ما كنت لأمانع لو طلبتها مني .

لكنه لم يضطرب .

ـ بدت لي فكرة معقولة لأنني سأعمل عندك . . أستطيع الآن أن أقلّك إلى هولمواك و . .

قاطعته بيلا : «لن تذهب إلى هناك» .

ـ وهل ستتراجعين عن اتفاقنا؟

ـ اتفاق . . لم يكن هناك اتفاق . . لقد وضعتني في موقف حرج اضطرني إلى عرض العمل عليك . . ولكنك في الواقع لا تحتاج إلى عمل مع كل ما لديك من مال . .

ـ قلت لك لماذا أحتاج إلى عمل . . فأنا . .

صمت لأن ما قالته صدمه . لكنه عاد فأردف : «كل ما لدي من مال؟ ما الذي أوحى إليك بهذه الفكرة؟» .

ـ لأنني اكتشفت أنك مؤلف شهير . . يا لجرأتك! كيف تمكنت من إقناع عمتي بأنك عاطل عن العمل .

رفع يده يصحح لها قولها :

ـ لا! قلت إنني لا أعمل شيئاً في الوقت الحاضر . وهذا صحيح . . فأنا في فترة نقاهة بين كتابين .

ـ إذن لماذا لم تخبرها بهذا عوضاً عن جعلها تشعر بالأسف عليك . . إلى درجة أن تقنعني أن . .

ـ لم أرغب في ذكر هويتي لسبب بسيط، لئلا تحتفي بي كثيراً، فأنا . .

قاطعته ساخرة :

ـ يا لك من مغرور! ما الذي جعلك تظن أنها ستتأثر أو أن أحداً

يتأثر؟

ـ مغرور؟ لو كنت مغروراً لأذعت خبر وجودي، وهذا ما كان سيحدث لو أخبرت عمتك.

تعرف بيلا أن عمتها إيلينا خير من ينشر الشائعات ولكنها مع ذلك سعرت بالسخط عليه بسبب قوله هذا.

أضاف: «لم تجيبيني إن كان العمل لي؟».

قالت بجفاء:

ـ أنا لا أتراجع عن كلمتي أما قولي إنك لن تذهب إلى هولمواك فأقصد فيه أن الرجل الذي ستحل مكانه كان يعمل في المشروع السكني الجديد.

اعتقدت أن تشارلز نظر إليها نظرة غريبة عندما قدمت له بورك وشرحت له سبب وجوده في الموقع.. لكن المشرف العجوز كان أكثر كياسة من أن يعلق بشيء أمام الغريب.. لكنه في الطريق إلى الكوخ، عبّر لها عن استغرابه.

ـ إنه شاب لطيف.. لا أعتقد أنه السبب في عدم أخذك لبديل عن سميثي؟

ـ بالطبع لا!

ما إن وصلا إلى الكوخ حتى وجدا عامل النجارة يعمل.

قال تشارلز:

ـ قلت لك إنك بحاجة إلى أربعة نجارين هنا، وأكره أن أستغني عن أكثر من واحد.

ـ سأتمكن من القيام ببعض الأعمال بنفسي.

ـ ليس قبل أن يشفى كاحلك عزيزتي!

ربما يكون تشارلز الشخص الوحيد الذي يجرؤ على الاعتراض.. ستمر سبعة أيام على الأقل قبل أن تستطيع إلقاء وزنها الكامل على



كاحلها المصاب.. وقلة العمل تثيرها.. بعد زيارة إلى الطبيب تأكدت أن تحليل بورك وبندهام صحيح، وهذا ما أزعجها حقاً وزاد من توترها.

قال تشارلز لها بعد أسبوع من عودتها إلى العمل:

ـ من المؤسف أن فتاك الوسيم لم يخبرني قبل الآن أنه بارع في النجارة.

ـ إنه ليس فتاي.. حباً بالله، لا تقل شيئاً كهذا على مسمع داني ردهوت!

كان تشارلز قد نقل بورك إلى «كوكشاو فارم» وجعله يعمل في استبدال إطارات الأبواب الخشبية، وهذا ما أشعر بيلا بالإحباط.. لأنها كلما رأته كانت تشعر بالصدمة وكأنها تراه للمرة الأولى منذ ذلك الأحد في التلال، وهي منزعجة من نفسها لأنه لا يبارح عقلها أبداً أضف إلى هذا أن ما قد يصبح هوساً بالغريب الجذاب، هو بالفعل عدم وفاء لداني.

لذا لم تكن ممتنة لبراعة بورك وذكائه في أعمال الخشب، لأن هذا يعني أنه سيعمل إلى جانبها. مع ذلك، من الغباء رفض تشغيله.. أخيراً تغلبت لهفتها على رؤية الكوخ وهو يستعيد شكله على وساوسها فيما يخص بورك.

جعلهما الترتيب الجديد يبقيان في بيت المزرعة أي الكوخ بمفردهما.. فقد سُحب النجار الأصلي من هناك بسبب عمل عاجل في الموقع الجديد.. في يومها الأول معه ركزت عينيها على طريقة عمله ولكنها سرعان ما أدركت أنه يجيد ما يقوم به وهذا أشعرها بالراحة فأخذت تُركز على عملها.

ثبت أن من الضروري تسوية مستوى الألواح القديمة تحت أرض المطبخ قبل تركيب الألواح الخشبية الجديدة فوقها.. هكذا عملا معاً

صمت وهما يدقان معاً الأوتاد الضرورية لتمتين الخشب. ولكن في بعض الأوقات كان لا بد من الحديث.. وفي إحدى هذه المناسبات، قالت بيلا:

- استعرت كتابين من كتبك من عمي فرد. إنه يمتلكها جميعها.. ورأيه عظيم بكتاباتك.

رد بسهولة:

- من الرائع أن يكون للمرء معجبون.. وهل انضممت إليهم؟

- قرأت كتاباً وأنا الآن أقرأ الثاني.. إنهما كتابان بارعان.

- أيعني هذا أنك لا تجدينهما مثيرين؟ هذا ما يقوله الناس عادة عني..

- بل وجدتهما مثيرين فعلاً.. وفهمتهما، إذا كان هذا ما تسأل عنه!

- لم أكن أسألك عن هذا.. فأنا واثق من أنك شابة مثقفة ولولا ثقافتك لما توصلت إلى هذا المستوى في تعليمك.. أتعرفين.. أحسدك على تعليمك. لقد تركت المدرسة وأنا في الخامسة عشرة من عمري.. أما كل ما أعرفه فتعلمته بنفسي أو اكتسبته من جدي.

- أنت تذكره دائماً.. أراك تحبه كثيراً.

- أحبه؟ أعتقد أن بإمكانك قول هذا.. كنت معجباً جداً به.. لذا حاولت أن أحذو حذو.. ذاك الرجل العجوز القاسي!

- قاسٍ؟ بأية طريقة؟

- أوه.. افتقاره إلى العواطف كما أعتقد.. فهو شخص لم يكن يظهر مشاعره البتة.. حتى لجدتي.. مع أنني أعرف أنه كان يحبها.

- لا بد أنه كان يحب الأطفال والدليل أنك أنفقت معه!

- فلنقل إنه كان يصبر عليهم.. كان عظيماً في تأدية واجبه.. أحب امرأة واحدة هي أمي، وقام بما رأى أنه واجبه نحوها.. وهذا ما



قام به نحوي أنا.. حفيده.

- أهكذا ستنظر إلى الأطفال الذين ستنجبهم؟

- من الأفضل عدم إنجاب الأطفال إلى هذا العالم. عندما كان جدي يقول هذا كنت أظنه يصب غضبه على أمي وعليّ من خلالها.. لكنني أعرف الآن ما قصد بذلك. إنه عالم ظالم بيلا.. وفي مكان كهذا أنت محمية من الواقع..

قالت ساخرة: «لدينا صحف وتلفزيونات ولا ندفن رؤوسنا في الرمال. فإن كان عملنا لا ينقلنا إلى الأماكن التي رأيتها فهذا لا يعني أننا لا نعرف ما يدور في العالم».

- حسناً.. سجلت عليّ نقطة. لكن هناك صعوبات أخرى غير الحروب والمجاعة، هناك إصابات يفتعلها الناس بأطفالهم.. انظري إلى تأثير الزواج الفاشل على الأولاد.. خذي مثالاً على ذلك ولدي..

صمت ولكنه تأخر كثيراً.

- لديك طفل؟

- أجل.. يا إلهي.. كيف توصلنا إلى هذا؟ لديك موهبة غريبة في دفعي للحديث عن نفسي بيلا.

- ولماذا لا تتحدث عن طفلك.. أتشعر بالخجل منه أو منها؟

- إنه صبي.. بورك الصغير.. أرجو أن يصبح عندما يكبر راجح العقل أكثر من أبيه.. ولكنني أظن أن أمه نجحت في ذلك.

- وهل ألبته عليك؟

- لا أدري.. لكنها تصرفت بطريقة جعلتني لا أراه ثانية.. لقد عادت به إلى أوستراليا إلى أهلها.

- إنما لك حقوق بالتأكيد.

- أجل.. لكن ربما لا أريد الإصرار على حقوقي.. ربما..

- أنت تشعر بالمرارة.. وهذا غير مدهش.. لو كنت مكانك لما

انفصلت عن ولدي.

ـ وهل تريدين أولاداً؟

تواردت قليلاً: «جداً».

ـ غريب.. رأيتك مخلصة لعملك.. كل طاقاتك مخصصة لمهنتك.. ماذا تفعلين وقت راحتك؟

فاجأها السؤال الذي غيّر دفّة الموضوع:

ـ آه! عدا المشي؟ الأشياء العادية: سينما، مسرحية.

ـ وحدك؟

ـ لا! بالتأكيد مع صديق.

ـ حبيب كما أفترض؟

ـ أجل، إنه حبيب.

ـ أمر جاد؟

ـ أجل.. أعتقد هذا.

ـ وهذا يعني أن المسألة غير جادة، وإلا لكنت واثقة.

توترت أعصابها لأنه متأكد من كلامه:

ـ أنت خبير في هذا بالتأكيد.

جلس على عقبيه: «خبير؟»

نظر إليها بعينيه السوداوين الكئيبتين ثم أجاب بمرارة:

ـ لا.. فلو كنت خبيراً لما ارتكبت تلك الغلطة في زواجي.

ـ حسناً.. في هذه الحالة، أرجو أن تتركني أقرر بنفسي ماهية مشاعري.. لقد حان موعد الغداء كما أعتقد.. آه! أنا كثيرة التطلب.

مطت ظهرها وراحت تدلك سلسلة ظهرها بيدها.. ولكن وقفتها هذه أظهرت أنوثتها بهدوء.

قال بورك: «هذا جيد لك! قد يساعدك على الاسترخاء؟»

أصبح صوته أجشّ بشكل غريب وكأن نشارة الخشب أثارت



حنجرته.. على أي حال، إنهما يعملان جنباً إلى جنب منذ بضعة أيام باتفاق شبه كامل.

أخذ ينظر إليها باهتمام، وعندما استدارت لتواجهه، قابلت بيلا بذهول نظرته السوداء التي لا قرار لها.. وبدا لها أن رسالة ما تبودلت بينهما.. لكنها لم تستطع تفسيرها.

وبقيا صامتين بدون أي حراك، نظراتهما فقط هي التي تتحول بينهما في حوار صامت.

يجب أن تبتعد عنه.. لأن هذا التقارب يشعرها بالخطر.. لكنها لم تستطع أن تتحرك.. وكأن هناك هالة تنبعث منه ضمتها إلى دائرتها وأسرتها.

ما الذي يحدث لها؟ إن تأثير هذا الرجل عليها يجعلها غير مسيطرة على انفعالاتها بحيث تظهر عليها معالم الارتباك والتوتر. وكأن عينيها تدعوانه ليستجيب لمشاعرها، فتقدم منها ببطء وأخذ يتودد إليها بكلمات هي بأمس الحاجة لها، وهنا شعرت بيلا بأن وجهها توهج أحمراراً من الخجل.

سأل بصوت هامس: «ما زلت تشعرين بالخجل حين يتودد إليك أحد ما؟»

ولم يترك لها مجال الرد بل سرعان ما أبتعد يورك عنها، ليس بفظاظة بل بحزم. ومع أنهما وقفا مبتعدين، فالتوتر بقي موجوداً وكأنه يربط بينهما.. أما عيونهما فكانت متشابكة بنظرة طويلة.

أخيراً تكلم يورك بصوت أجش، ولكن شاب صوته الغضب:

ـ عرفت أن شيئاً كهذا سيحدث في النهاية إن بقينا نعمل سوياً.. عليك أن تعرفي أنك لست من النساء اللواتي أسعى إليهن عادة.

أجفلتها كلماته وآلمتها وهذا ما إيقظها من شرودها.. بالتأكيد هي ليست من طرازه.. إنها مجنونة إن ظنت هذا.

صاحت غاضبة من نفسها:

ـ اخرج من هنا! اخرج من منزلي!

وضمت يديها إلى جنبيها خشية أن تضربه، وهي لا تعرف كيف يستجيب لهذا. لقد قال إنه لن يؤلم أحداً عن قصد. لكن هذا قد لا يعني بالضرورة الألم الجسدي. لا يعني أنه لن يرد ضربتها. للحظة ظنته سيرفض الخروج ولكنه هز رأسه مذعناً.

ـ أجل. أنت على حق. من الأفضل أن أبتعد من هنا. أبتعد عنك.

ارتدّ على عقبيه، وتركها واقفة هناك متوترة، غاضبة ومتألمة، متألمة كثيراً.

• • •



## ٤ ـ زوج في اليد...

لأنها معتادة على تناول الطعام في مثل هذا الوقت قصدت بيلا الفندق. وقد اعتادت هي ويورك أن يتناولا الغداء في الستاغ حيث كانت إيلينا ترحب بهما دائماً كثيراً. في الواقع كانت إيلينا تدعوهما غالباً لتناول الطعام في الداخل وتعني بهذا في جناحها الخاص المواجه للمقهى العام.

الآن بعدما أصبحت بمفردها وبعدما خبا غضبها واستقر في نفسها شيء من الحزن وجدت بيلا أنها تتمنى لو أن هذا الغضب كله لم يتته. فرغم حرارة الشمس أحست برجفة تسري في أوصالها. ولكنها أملت ألا تراه في الفندق.

لم تره. لكنه كان في المقهى العمومي. هذا ما قالته لها إيلينا والحيرة في صوتها.

ـ قال إنه لا يعتقد أنك سترغبين في تناول الطعام معه. هل اختلفتما؟

ـ بطريقة ما.

راحت بيلا تتلاعب بالوجبة السخية في طبقها. ولم يكن الجو الحار والرطوبة أو سكون الهواء هو ما يفسد لها شهيتها.

ولم يكن من عادتها أن تكون منطوية تختصر إجاباتها خاصة مع عمتها، صديقتها العزيزة على قلبها. وجدت أنها راغبة في الإسرار

لعمتها كما كانت تفعل دائماً لتفصح لها عن أفكارها المضطربة المتعلقة بيورك وبندهام. . ولكنها كانت تشعر بخجل غريب من البوح بسرها.

سألتها بلهجة دفاعية: «ما رأيك بيورك عمتي ايلينا؟».

ـ هو رجل لا يسهل تكوين رأي محدد عنه. . لكنني أعتقدت أنك تعرفينه أكثر من أي شخص آخر هنا.

ـ أعتقد أنني بدأت أعرفه. . أتعلمين؟ لا أصدق أنه متحجر الفؤاد كما يدعي. آه! أعرف أنه بحاجة إلى درجة من القسوة ليمارس عمله وليواجه بعض المناظر التي يجب على الصحفي مواجهتها، لكن. .

ـ هل وقعت في حبه حبيبتي؟

ـ لا. . بالتأكيد لا.

تنهدت ايلينا: «أوه عزيزتي. . تدركين أنه لن يبقى هنا إلى الأبد؟ إنه رجل غير معتاد على البقاء في مكان واحد لمدة طويلة. . فما إن يوافق طبيبه على عودته إلى العمل حتى يرحل إلى بلاد غريبة مجدداً».

ـ أعرف هذا. . وأنا لست. . آه عمتي ايلينا. . لا أظنني معجبة به. . لكنه يجعلني أحس. . أحس. . أووه. . لا أدري كيف أصف هذا.

جعلها إحباطها تضرب الطاولة بقبضتها.

قالت إيلينا بحزم:

ـ أعتقد أن من الأفضل أن تقولي لي بالضبط ما الذي سبّب كل هذا. . ماذا جرى بينكما بالأمس؟

ـ أعتقد أنني شعرت بحاجة إلى معرفة المزيد عنه. . وحدثني. . بطريقة ما أحسست بالأسى عليه. .

ـ حسناً. . إياك أن تعبّري عن إحساسك هذا أمامهم فلدى الرجال كرامتهم.

ـ ثم. . تودد إليّ. .



ـ يا إلهي! هل هذا كل شيء؟

ضحكت ضحكة قصيرة اعترضتها تعبيرات وجه بيلا وكلماتها:

ـ لا. . هذا ليس كل شيء. . لقد أهانني. . قال إنني لست من صنف النساء الذي هو معتاد عليه.

ـ إذن لماذا تودد إليك؟

ـ لست واثقة. . لكنه قال إن هذا يجب أن يحدث ما دمنا بمفردنا. . لكن لماذا فعل ذلك ما دمت من صنف آخر غير الصنف الذي يحب؟

لم تكن بيلا ذات جمال كلاسيكي، ولكنها لا تعي أبداً جاذبيتها الفريدة من نوعها إذا ما درس أحدهم تفاصيل وجهها. . الجبين الواسع الذكي والعينان الساحرتان الخضراوان، والأنف المستقيم المرتفع قليلاً عند نهايته والثغر الجميل. . لم ترث جمال أمها الطفولي الشكل. . ولكنها ذات بنية جيدة أما ما ورثته عن أبيها فهو الوجه الرزين الهادىء الصريح.

قالت لها إيلينا: «أنت فتاة في غاية الجاذبية. . لكن بعض الرجال لا يحتاجون إلى التشجيع ليحاولوا التغزل بإمرأة».

حاولت بيلا أن تكون منصفة: «ربما مشاعره تجاهي بدأت تأخذ منحى آخر».

ـ . . فقد بدا لي غاضباً مني. . ومن نفسه. .

وبدا الاضطراب في عينيها الخضراوين.

سألتها إيلينا: «ولماذا يغضب منك؟ هل وبخته؟ أهذا هو الأمر؟».

ـ لا. . عندما عازلني استمتعت إليه وأردت منه أن يستمر.

لم تكن تقول سوى الحقيقة. . فقد أدركت أنها في أعماق عقلها الباطني تريد أن يتعلق بها. . ولكن حتى اليوم ورغم عمله عندها كان يعاملها كرجل آخر. . ولم تدرك حتى هذه اللحظة أنها كرهت معاملته

تلك.. فهذا ما لم تكن تريده البتة.. ولم تكن واثقة أبداً مما تريده في الواقع ولكنها قد تريد أي شيء إلا تلك المعاملة السيئة.

- أعتقد أنني لست من طرازه بسبب مظهري، على الأرجح أنه يفضل النساء الأنيقات ذوات الحنكة على امرأة طويلة نحيلة «كعمود التعريشة» مثلي.

قالت إيلينا: «كلام سخيف! إنه طويل أيضاً.. وليس في الكون نساء كثيرات تماثلنه في هذا.. لكن ربما من الحكمة ألا تنفردي به كثيراً.. أكره أن أراك متألمة. ولا أظنك تريدين أن تصل إلى ذاك الرجعي داني ردهوت وإلى أمه تلك مزيد من الشائعات».

عندما خرجت بيلا من الفندق كان يورك بانتظارها. نظر إليها بقلق وهو يسير إلى جانبها:

- أعتقد أنني مدين لك باعتذار.

جعلها التوتر ترد بحدة:

- ولماذا؟ أتخاف أن تخسر عملك؟

كانت ملاحظة غبية لا داعي لها.. عرفت هذا.. ولكنه تجاهلها.

أضاف: «أعدك بألا يتكرر.. أعرف أنك لست من الصنف الذي..».

- وكيف تعرف هذا؟ إلا إذا كنت تعرف الكثير من هذا الصنف؟

رد هو الآن بحدّة: «ربما!»

حثّ خطاه أكثر وتوجه إلى الكوخ..

أما هي فلحقت به ببطء وشعور بالغباء والبؤس يلفّها.. عمتها على حق.. من الحكمة والأمان أن تتجنب العمل في تقارب معه.. ولا بد أن فكرة عينها ساورت يورك كذلك لأنه أبعد نفسه إلى قسم آخر من المنزل، حيث استطاعت أن تسمع ضربه على الخشب. عادة يدل هذا الصوت على العمل النشط ولكنه الآن يدل على أن صاحبه غاضب..



عملت بمفردها في المطبخ ترافقها أفكارها.

جعلها سؤال عمتها الذي طرحته عليها عما إذا وقعت في حبه تتساءل عن ذلك بريبة واضطراب. لكن لم تقع في حبه، هذا مستحيل.. ومهما كان رأي إيلينا بداني فهو من ستتزوجه.. إنه كما تصفه أمها رجل من محيطهم، وهذا يعني المهنة طبعاً. وما تشعر به نحو يورك، مجرد إعجاب قوي.

سألها يورك وهما يوضبان معدات العمل نهاية النهار.

- هل انزعجت حقاً لأنني حاولت التقرب منك بتوددي إليك؟

بدا أن غضبه برد، وأصبحت تصرفاته ودودة.

ردت: «لولا ضخامة جسدك لضربتك».

لم تضرب أحداً قطّ ولن تبدأ بذلك الآن.

قال: «ما كان على ضخامتي أن تمنعك».

بدا مرحاً وأضاءت ابتسامته وجهه:

- أظنك كنت سترد الضربة.

- دعيني أفعل ذلك مجدداً لتجربي.

كان يمازحها بلا شك، مع ذلك ردت بحزم:

- لا.. شكراً لك.

لكنه بدا جاداً إذ خطا نحوها خطوتين:

- لا.. ما كنت لأرد ضربتك بيلا.. أحترم النساء كثيراً.. لكنك لا تستطيعين الادعاء بأنك لم تستمتعي به..

ثم تابع:

- هل كان عندك.. حبيب؟

غضبت منه فماذا يظنها؟

- لا!

- حقاً؟ لست مراهقة وأظنك الآن مغرمة؟

بدا لها من الأسلم الموافقة:

ـ أجل.. هل كنت تحب زوجتك، أم لعل ذلك كان غلطة؟

ـ آه.. كانت غلطة على أي حال! كنت أحب.. لكني أحب عملي كذلك.. أهوى الصحافة.. يومذاك كنت يافعاً في الثانية والعشرين وأتمتع بالسفر إلى مناطق مختلفة.. ولم يكن يزعجني أن يربطني بالوطن الهاتف البعيد المدى أو الفاكس.. لكن يارا زوجتي، كانت تهتم..

أقفلت بيلا الكوخ بعناية: «وما زلت تحب الصحافة؟»

ـ إنها جزء من حياتي لا يمكنني تركها مقابل أي شيء، أو أي كان.

ضرب ركبته فجأة:

ـ تباً على هذا! بقيت في المستشفى ستة أشهر! وكان عليّ أن أكون الآن متعافياً.. يظن رئيس التحرير أنني فقدت شجاعتي.

ـ فقدت شجاعتك؟ ولماذا تؤثر ركبتك..

ـ كنت في موقع مضطرب، لذا أصبت.

ـ وهل.. فقدت شجاعتك؟

كانا واقفين قرب الشاحنة.. كان عليها أن تنطلق إلى منزلها ولكن الفضول أوقفها.. توقعت منه الإنكار بعنف.

ـ لا أدري.. لقد مضى على هذا وقت طويل. ولماذا أفقد شجاعتي؟ لقد كنت في مواقع خطرة مرات كثيرة من قبل.. لكن كيف أعرف قبل أن أعود إلى هناك؟ وهناك أسباب لعودتي، فكل ما أعرفه هو الكتابة.. والصحافة.

ـ بإمكانك القيام بهذا هنا.. في بلادك.

ـ أجل.. وأنا جالس وراء المكتب أستخدم خيالي بدل تجربتي! لا أريد الجلوس جامداً وأنا أنظر إلى الحياة عبر النافذة فقط.. كيف بحق



الله وصلنا إلى هذا الموضوع؟ أنا لا أريد التفكير في هذه الإمكانية.. إمكانية عدم عودتي إلى الحياة الحرة.

قفزت بيلا إلى ما وراء المقود:

ـ أراك لا تتوقف عن التفكير في هذا الاحتمال وإلا لما كنت مريراً وآسفاً على نفسك. لماذا لا تفكر بطريقة إيجابية؟ بدل التساؤل عما ستفعل فيما لو تخليت عن السفر، قرر شيئاً آخر.. خيّر نفسك.

رد ساخراً: «ربما عليّ أن أتقدم بطلب عمل دائم في شركة «رينولدز وأبناؤه».. هل تقبلين بي؟»

قفزت نبضاتها من هذه الفكرة قفزات مخيفة لكنها ردت بسرعة لتمحو عنها هذا الشعور.

ـ أنت لا تريد هذا.. لن ترغب أن توظفك امرأة، فلن تسمح لك كبرياؤك بذلك.. قلت مرة إنك لا تملك هوايات؟ أليس لك اهتمامات أخرى غير الكتابة؟

ـ لم يكن لدي وقت لشيء آخر وطالما استحوذت على وقتي كله وبحسب قول يارا إنه لم يكن لدي وقت للزواج، وكانت على حق باستنتاجها.

ـ الواضح أنها لم تفهم قط مشاعرك نحو عملك.

ـ صحيح! إنما لا تظني أنني ألومها.. هل يمكنك الزواج برجل لا يبقى في البيت إلا أربعة أشهر في السنة؟

لم تفكر بيلا في هذا قبل الآن.. إنه أمر صعب ولكنها لو كانت حقاً تحب الرجل..

أضاف: «هل كنت تتزوجينني؟ هل كنت سترضين بالسفر معي؟».

لم يقصد فعلاً ما قاله بل كان سؤالاً فرضياً. لكنه تذبذب مع موجات الهواء.. فتصورت بيلا للحظة أنه سيسألها حقاً أن تتزوجه ولهذا خفق قلبها بشكل غريب.. وكانت وجنتاها قد توردتا ولكنها

شعرت في الوقت عينه بألم داخلي.. عرفت دوماً أنها عندما تتزوج ستعيش حياة بيتية صرفة على أن تبقى مسيطرة على شركة أبيها.. وقد ترفع من سمعة المؤسسة في الشرق الشمالي من البلاد، ولتنفذ هذا الطموح لا بد من بقائها في نورثمبرلاند.. لذا لن تستطيع التخلي عن هذا في سبيل اللحاق برجل جوّال حول العالم، لا يهدأ. لكنها كادت تنسى أن السؤال فرضي.

أخيراً قالت بخفة: «آه.. أشك في ذلك! إنما لا فائدة من طرح هذا السؤال عليّ».

قال بلهجة متوحشة مفاجئة:

ـ لا.. لن يحدث.. وقد حان الوقت لتعودي إلى منزلك.

قالت جويس رينولدز لابنتها ما إن وطئت قدماها أرض المنزل:

ـ اتصل بك داني منذ دقائق. ظنك عدت، لا أراك مسرورة.. مشاكل؟

لا مشاكل في عملها. فالعمل في الكوخ في تقدم مستمر، والشكر في هذا ليورك وكفاءته.. المشكلة هي في داخلها.. أما سببها فملاحظة يورك.. بكل تأكيد، موضوع زواجها منه لن يبرز لأنها ستتزوج من داني.. وما إن يطلب يدها من جديد حتى تخبره بموافقتها على طلبه.

قالت لأمها: «إنه أمر أستطيع حله.. أيريد مني داني أن أتصل به؟»

ـ أجل.. إنما بعدما تأكلين.. اضطررت لإبقاء وجبتك ساخنة ما يزيد عن نصف ساعة.

لكن مزاج بيلا غريب.. مزاج يتطلب منها عملاً ما.. اتخاذ قرار.. حرق جسور، وكلما كان هذا أسرع كلما كان ذلك أفضل.

قالت: «لن أتأخر دقيقة».

ردت عليها السيدة ردهوت التي استدعت ابنها بلهجة غاضبة..



ومع أن صوت المرأة العجوز بدا مكتوماً لأنها كانت تضع يدها على سماعة الهاتف إلا أن بيلا سمعت الكلمات:

ـ داني.. ! بيلا تطلبك.. لا تنسَ.. كن حازماً.. لقد آن لها أن...

تناول داني السماعة:

ـ بيلا.. مرحباً. هلا جئت إلى هنا الليلة؟ أريد محادثتك و..

لم تستسغ الذهاب إلى منزله حيث السيدة ردهوت ومتطلباتها.

ـ ألا يمكن أن نتحدث هنا؟

ـ ليس بوجود أمك.. والداي سيخرجان.

وهذا يعني أنهما بحاجة إلى السيارة.

ـ حسناً.. بعد ساعة تقريباً.

عندما استقبلها داني بدا جهم الوجه جاداً.. أدخلها إلى غرفة الجلوس حيث أجلسها على الأريكة التي بدت قادمة من معرض المفروشات للتو وجلس إلى جانبها:

ـ حسناً بيلا.. أعتقد أنك تعرفين عما أريد محادثتك.. لقد مضت عدة أسابيع منذ..

ـ منذ طلبتني للزواج.. أعرف هذا.. أنا..

ـ مهلك قليلاً.. لا تقولي شيئاً قبل أن تسمعيني.

من الواضح أنه حضّر دفاعه.. لو كانت في ظروف أخرى لشعرت بالتسلية وهو يسرد على مسامعها لائحة بالفوائد التي سيجنيانها من اتحادهما. بدا لها هذا عرض عمل.. وهذا هو الواقع، لأنه لم يُخرج شركة رينولدز وأبنائه من حساباته.

ـ يريد والدي أن يتقاعد باكراً.. هو ووالدتي يريدان أن يسافرا قبل أن يشيخا.. لكنهما يريدان رؤيتي مستقراً أولاً. بعد ذلك سيسلمني أبي زمام الأمور.. فكري ملياً بيلا.. فبما نملك نستطيع إمساك زمام

السوق في هذا الجزء من البلاد. يمكن للمؤسستين أن تندمجا.. ردهوت ورينولدز.

ـ رينولدز وريدهوت!

ـ بإمكاننا ترتيب هذا بحسب الألفباء.

ـ نتباحث هذه الأمور لاحقاً.

لقد قررت القبول به زوجاً ما إن يعيد طلبه مرة أخرى.. لكنه لم يكن يخلق جواً رومانسياً لهذا..

أضافت: «أما الآن فما يهم هو ما إذا كنا نحب بعضنا بعضاً».

ـ بالتأكيد! لكنني اعتقدت أننا ناقشنا هذا من قبل.

مازحته: «أتخطط لعدم ذكر كلمة «الحب» أبداً؟».

ـ بالتأكيد لا.. سخيفة.

تبدلت تعابير وجهه الجادة ونظرت إليها عيناه الزرقاوان الشاحبتان بشكل ملح.

ـ بيلا!

انسلّت من شفتيها تنهيدة فهمها على نحو غير صحيح..

ـ بيلا حبيبتي!

أخذ يلاطفها بكلمات رقيقة تعبيراً عن مشاعره وعاطفته تجاهها، كانت تصغي إليه باهتمام.. لكنها لم تشعر بما شعرت به وهي مع جيمس.. ولكنه أمر متوقع.. فيورك ذو تجربة وحنكة، وفيه شيء من الغموض.. لكنها وداني يخرجان معاً منذ ستة أشهر، وقد اعتاد كل واحد منهما على الآخر، ولهما اهتمامات مشتركة. هذا هو المهم.. العلاقة المستقرة..

لكنها اضطرت بعد قليل إلى إسكات داني:

ـ ليس الآن داني.. فأنا..

تمتم بصوت أجشّ: «لماذا؟ ستتزوج قريباً!».



وهل قبلت طلبه فعلاً؟ ربما.. لكنها قالت بحزم: «وإن يكن.. أفضل الانتظار».

• • •

## ٥ ـ اختارت طريقها

صباح الاثنين حيّا بورك بيلا أمام باب الكوخ:

ـ أكانت عطلة الأسبوع ممتعة؟

كانت قد رأته واقفاً هناك بانتظارها عندما كانت شاحنتها الصغيرة تتقدم.. وكالعادة أشعرتها رؤيته بالتوتر.

أشارت إليه أن يبتعد عن طريقها:

ـ ممتعة كثيراً.. شكراً لك.

ارتفع حاجباه قليلاً بسبب لهجتها الجافة.

ـ أما زلت غاضبة مني..؟

فتحت الباب:

ـ بالتأكيد لا.. لم أفكر في ما جرى مرة أخرى.

تجاوزته لتدخل إلى الكوخ.. ولكنها كانت منزعجة من تسارع نبضات قلبها كلما اقترب منها. تباً له! الحمد لله لأنها الآن مخطوبة رسمياً لداني.. وهذه الخطوبة ستكون رادعاً ضد أية أحاسيس غير مناسبة.

قال لها وهو ينتقي أدوات عمله:

ـ لم تسيري كعادتك هذا الأسبوع.

سألت: «وهل بحثت عني؟».

ـ بإمكانك قول هذا.



قالت بلهجة تدّعي الانشراح.

ـ لا أستطيع التفكير في السبب.. ذهبت إلى منزل داني للغداء.

ـ لقاء العائلة.. هه؟ الأمور تصبح جادة على ما يبدو.

ـ سبق لي أن زرتهم!

لكن لماذا الانزعاج؟.. إنها تريد منه أن يعرف أنها لم تعد حرة.. وأنها لا تهتم كثيراً بالتورط معه كما يريد..

أضافت: «لكن الذي حدث أن هذه المرة كانت مميزة لأن داني طلب يدي وأنا قبلت».

التقت عيناها الخضراوان الساخرتان بعينيه لكن ردة فعله كانت:

ـ لا تبدين مسرورة كثيراً بهذا.

ـ بل أنا مسرورة.. ولكنني لا أناقش مشاعري الخاصة مع غرباء.

اختصر قوله: «سجلت عليّ نقطة!»

لقد فهم قصدها.. ولله الحمد.. ولكنها أحست براحة كبرى عندما وصل تشارلز جوردان بعد الظهر لرؤية سير العمل.. عندما راحا يريانه القسم الذي انتهى من أعمال الخشب، لم تستطع بيلا إلا أن تشعر باقتراب بورك منها أحياناً مع أنه بذل جهده لتجنبها.. لم يتكلما مباشرة، بل كان كل واحد منهما يتحدث مع تشارلز على حدى وتساءلت إيزابيلا عما إذا أحس العجوز بالتوتر الذي يعمّ الجو.

قاد الشاحنة في طريق العودة إلى هيكسهام تشارلز.

قالت بيلا: «ليس هناك أعمال كثيرة في كوكشاو. بإمكاني إنهاء ما تبقى بنفسي.. فلماذا لا تعيد بورك إلى المجمع الجديد؟».

سألها: «ماذا يجري ابنتي؟ لست أعمى، هل أغضبك ويندهام؟ قد يكون عاملاً جيداً ولكنني مستعد لطرده من أجلك إن لم ترغبي فيه..».

قاطعته على عجل:

ـ آه! لا.. أنا فقط.. صدقاً تشارلز.. لا داعي لهذا.

آخر ما تريده هو أن يعرف يورك أن وجوده معها يزعجها..

قال تشارلز:

- تعرفين أنني أقلق عليك.. يبدو لي ويندهام شاباً شريفاً لكنه غريب.. و..

صاحت ساخطة:

- أوه..! إنه لا يقلقني.. قلت لك هذا! كما أنني قادرة على العناية بنفسي.

- إذن أعطاك سبباً.. لو فكرت للحظة..

- لا.. لا..! أنا آسفة تشارلز كل شيء على ما يرام حقاً.. إنه يعجبك، أليس كذلك؟

نظر إليها نظرة ماكرة:

- إعجابي به كرجل لرجل، يختلف عما إذا تسبب لك بمتاعب حبيبتي.. خاصة وأنت الآن مخطوبة.. برأيي أنه يمرّ بضغط نفسي كبير.. ولعله في إجازة من عمله بسبب أعصابه لا بسبب ركبته.. ويبدو أنه لم يستقر في حياته.. لك قلب دافىء بيلا.. إنما إياك أن تقصي حبه فمن السهل جداً الخلط ما بين الشفقة وما بين شيء آخر.

- هذا مستحيل.. أليس كذلك؟ وكما أشرت، أنا مخطوبة لداني.

- هل يعرف داني أنك عملت جنباً إلى جنب مع ويندهام بمفردكما؟

هزت رأسها نفياً فأردف:

- من الأفضل إذن أن تتركيه ينهي عمله هناك بمفرده.. من المؤسف أن داني لا ينظر إلى المكان نظرتك إليه. سيكون منزلاً رائعاً لعائلة.

كان الجميع مبتهجاً بخبر خطوبتها من داني.. أبواه، أمها والمراقب العجوز الذي حاول منذ وفاة والدها أن يحل محله. عمّت



الفرحة الجميع إلا إيلينا ستافورد.

- إنه شاب متشدد بيلا.. ليس لديه ذرة من الرومانسية والأنكى أنك ستربطين نفسك إلى حياة ضيقة فظيعة. أعرف أنك ذهبت إلى الجامعة، وسافرت قليلاً خلال فترة تدريبك.. إنما كان ذلك عملاً، ولم يكن مرحاً.. والواقع أنك لم ترَي شيئاً من العالم وأصدقاؤك الرجال هم جميعاً من أهالي هذه المحلة.. لقد مرّ وقت فكرت فيه أنك ويورك، قد.. قد.. مع الوقت.

قاطعتها بيلا بسرعة:

- إنه ليس من الصنف الذي يتزوج.. وهو لا يحتاج إلى علاقة دائمة.

- وإذا كان؟ إذا أراد؟ آه! حسن جداً.. لا تردي علي حبيبتي.. ولكنه يملك حاجات لا يعرفها.. حاجات لا واعية. حاجات داني واضحة.. عينه على الفرصة الرئيسية.. آه! قد تعجبينه كذلك بل سيكون غير طبيعي إن لم يعجب بك. ولكن أكان ليكون ملهوفاً للزواج بك لو لم تكوني مالكة شركة «رينولدز وأبناؤه»؟

- عمتي إيلينا! ما هذا الذي تقولينه؟ داني يحبني! وأنا واثقة أنه لن يهتم أبداً لو..

- ربما؟ لكن على أي حال.. من الحكمة عدم التسرع بالزواج.

تنصحها إيلينا بعدم الزواج سريعاً.. أما داني فهو ملهوف لتحديد الموعد:

- لن تقبل أمي بالسفر قبل أن أتزوج بامرأة تعتني بي. يجب ألا تتركيني أنتظر كثيراً.

وكأنما أهم ما في زواجهما هو ما يوافق أبويه.

أضاف بإصرار: «سنذهب إلى نيوكاسل في نهاية الأسبوع المقبل لشراء الخاتم».

ما إن يصبح خاتمه في إصبعها حتى تكون. . .؟ ماذا؟ لا، لا تريد التفكير في كلمة «علقت»؟

أضاف داني: «لذا لا داعي لإطالة فترة الخطوبة. . باستطاعتنا الزواج فوراً. . لدي مدخراتي، وأعرف أن لديك مدخراتك. . وبسبب عملينا سيكون مستقبلنا مؤمناً. ما إن أعتاد على طبيعة عملك حتى أتمكن من إدارة المؤسستين. . بعدئذ نستطيع إنجاب الأولاد فأمي تتوق إلى حفيد».

وهذه حال أمها. . وهي أيضاً ترغب في ذلك. . ولكنها طالما تصورت أنها ستستأجر مربية لأولادها عندما يكبرون قليلاً لتتمكن من الاستمرار بالعمل الذي تحبه.

قال داني مودعاً: «أراك يوم الخميس. . كالعادة».

مساء الخميس صحبها داني كالعادة لتناول وجبة عشاء. . وهما يذهبان دوماً إلى المكان عينه. . إلى مطعم صغير قديم الطراز يقع في قرية قريبة. . وكان داني دائماً يطلب الصنف ذاته لكليهما، لحم عجل «روستو» تقليدي. . كان يمكن أن يتناولاه في البيت. . عادة لم تكن بيلا تمانع لأنها غير مغرمة بالطعام كثيراً. . أما الليلة فقد شعرت بالغيظ لأنه يقرر عنها. .

ـ أعتقد أنني أريد لحم الغنم بالخل بدل الستيك. .

لم يعلق داني بشيء حتى ابتعدت السافية.

ـ أرجو ألا تكوني مولعة بلحم الغنم كثيراً بيلا، لأننا لا نحبه في المنزل ولا نقدمه ومعدتي لا تستسيغه.

قال هذا بقلق جدير برجل متوسط العمر لا بشاب. . ثم قبل أن ترد، مال إلى الطاولة وقال بصوت هامس:

ـ ما كل هذا الذي سمعته اليوم بيلا؟ أو بالأحرى ما سمعته أمي من زوجة سميثي بأنك وظفت شخصاً غريباً محله؟ ذلك الرجل الذي يسكن



عند عمتك، ذلك الذي. .

ـ الذي كان لطيفاً بحيث ساعدني عندما وقعت. . أجل. . وماذا في هذا؟

ـ لماذا تتخذين موقف المدافع. . أنا أثق بك بالتأكيد. . لكن. .

ـ شكراً لك! هذا ما أرجوه.

ـ لكنني أعتقد أنك غير حكيمة لأنك وظفته. .

توقعت أن يبدي قلقاً على سمعتها. . لكن لا. .

ـ . . عليك أن تلزمي جانب الحيطة والحذر.

امنحني الصبر يا ربي!

ـ أنا معتادة على اتخاذ مثل هذه القرارات!

يقلق معظم الرجال عندما يتلقون تحذيراً من نبرة صوتها الحادة. . ولكن داني أصرّ على الموضوع بكل غرور.

ـ ورجل أعزب كذلك. . يعمل معك هناك طوال أسابيع وأنتما بمفردكما. . قد يظن الناس.

سألت بلهجة جافة: «أي ناس؟»

توقف الحديث لحظات لأن الطعام وصل ولكنه ما لبث أن أضاف:

ـ قالت أمي. . .

قاطعته: «داني! المهم ما تظنه أنت. . لا ما تظنه أمك. . ».

ـ الواقع أنني أختلف مع أمي في أشياء مهمة. . لكنها تقلق على مصلحتي. . ولا أستطيع القول إنني معجب بفكرة. .

ـ داني! إن كنت وأمك ستقلقان كلما وظفت رجلاً جديداً.

قطعت لحم الغنم بالسكين بعنف وحشي.

ـ عندما نتزوج سأعمل أنا على استخدام العمال!

وضعت الشوكة والسكين: «لا داني. . لا أظن أن هذا مهم في هذه المرحلة، لكن من الأفضل أن نوضح الأمور قبل التفكير بتحديد موعد

الزواج.. شركة «رينولدز وأبناؤه» شأن خاص بي.. وستبقى هكذا دائماً.. إنها أمانة من والدي.. وأنا مهندسة معمارية مؤهلة. أما أنت فلا.. أعرف عما أبحث عنه في العمال..».

كشّر: «أوه؟ وهل يجب أن يكونوا جميعاً وسيمين طوال القامة وجوههم سمراء وشعرهم أسود؟ هذا كل ما كنت تعرفينه عنه عندما قبلت به.. سمعت أنه على صداقة مع عمتك وأنه يتناول طعامه في بيتها! كيف تتأكدين بأنه لا يحاول الوصول إليك عبرها؟ وأنه لا يسعى سوى وراء الشركة لنفسه؟»

فجأة رأت بيلا داني من عيني إيلينا.. ولم يعجبها ما رأت.

- تقصد.. أن هناك رجالاً من الخسّة بحيث يقومون بشيء كهذا؟ يتظاهرون بحبي من أجل وضع يدهم على شركتي؟

أصبح وجه داني ويا للسخرية شديد الاحمرار.

- لم أقصد.. بيلا.. لا تظني.. أنني..

- لا أظن! بما أنك أظهرت اهتماماً بالمؤسسة ومصيرها النهائي أكثر من اهتمامك بي! أعتقد أنه لا يهمك لو اعتدى عليّ ما دام لا يؤثر هذا في..

نظر داني إلى ما حوله بقلق، وقال بصوت منخفض:

- بيلا! هل حاول شيئاً من هذا؟

صاحت: «لا، بالتأكيد لم يحاول».

- إذن لماذا بحق الله..

- أعتقد أن ما أحاول قوله لك داني.. هو أنني لا أظن أنني أريد الزواج بك أبداً.

أخذ يتوعد:

- انظري هنا.. لا داعي إلى هذا كله؟ لا يمكنك فعل هذا.. يا إلهي! يوم السبت الماضي فقط، قلت لي إنك..



- حقاً؟ لست واثقة مما قلت.. وأظنك افترضت أنني موافقة وتركتك تعتقد هذا لأنني ظننتك تحبني حقاً.

بدا اليأس في عينيه الشاحبتين: «لكنني أحبك».

أيشعر بالبؤس لأنه سيخسر المشاركة مع رينولدز وأبنائه؟

- لا داني.. أنت لا تحبني.. وإلا لما أصغيت إلى الإشاعات التي يقولها أشخاص مثل أمك..

ردّ عليها وكأنه شعر بأنها أهانت المرأة:

- أشخاص مثل أمي؟ اعلمي أن أمي..

- دلّلتك وأفسدتك.. ولا عجب في هذا. إنما للمرة الأولى لن تحصل على ما تريد.

دفعت كرسيها إلى الوراء.

برقت عيناه غضباً: «إلى أين أنت ذاهبة؟»

- إلى البيت وأفضل الذهاب بمفردي.

- لكن.. وجبة الطعام..

أصبح مشاكساً، ونسي من في المطعم من أناس ينظرون إليهما بسبب التشاجر القائم بينه وبين رفيقته.

قالت ببرود:

- ابق أنت وكلها بمفردك.. سأدفع ثمن طعامي إذا أحببت.. ولكني غير قادرة على تناول الطعام لأنني سأختنق به.

وقف داني بسرعة ورمى مالاً على الطاولة.

- بل سأرافقك إلى البيت.. يجب أن نتكلم..

تحركت نحو الباب فلحق بها.

- سبق أن قلت لك ما أريد قوله.

في الخارج، في عتمة المساء استوقفها:

- لا تكوني حمقاء بيلا.. لا يمكننا إنهاء كل شيء هكذا. ولا

يمكنك العودة سيراً إلى البيت.

ـ لن أعود سيراً.. سأستأجر سيارة.

ـ بيلا! لا يمكنك فعل هذا بي! نحن مخطوبان.

هزت رأسها: «لا داني.. كدنا نكون.. ولكنني مسرورة لأننا لم نشتر خاتم الخطوبة».

انفجر: «يا إلهي.. كنت مغشوشاً بك!».

ـ وأنا أيضاً كنت مغشوشة بك..

* * *

نظرت إيلينا إلى ابنة أخيها برضى:

ـ هل هذا ما اشتريته من نيوكاسل يوم أمس؟ مختلف قليلاً عن الخاتم الذي كنت تنوين شراءه.. هه حبيبتي؟ آه! كم أنا مسرورة لأنك اكتشفت حقيقة ذلك الشاب قبل فوات الأوان.

ـ ليس داني الملام وحده بل أنا ملامة أيضاً لأنني كدت أوافق عليه.. ما كان يجب أن أتركه يظن هذا.. ولكنني اندفعت بطريقة ما للموافقة.. آه عمتي إيلينا.. يا للراحة! كلما كان يتحدث عن المستقبل كنت أشعر بأن هناك ما هو غير صائب.. لكن.. آه.. دعينا لا نتحدث عن الأمر.

ـ هل أعجبك الفستان؟ كدت أجن في «فينويك» فالثياب الصيفية رائعة الألوان.

ـ دعيني أنظر إليك نظرة ملية.. تبدين فعلاً نحيلة ابنتي.. وأنا مسرورة لأنك استمتعت برحلتك.

ـ استمتعت فعلاً.. ولكنني لا أحب المدن، خاصة نيوكاسل.. إنها قبيحة.. كابوس سيارات.. لكن المحال التجارية تعوض عن هذا.

قالت إيلينا بشكل عفوي: «عمل يورك في الكوخ طوال عطلة



الأسبوع».

كانت تصب فنجان شاي بعد الظهر.

ـ واليوم أيضاً؟ الأحد؟

ـ لا يبدو لي ممن يتأثر بالاعتبارات الخاصة. لماذا لا تلقين نظرة على سير أمور العمل معه؟

جعلتها كلمات عمتها تشعر بتقلص في معدتها.. وبتسارع في نبضات قلبها.

قالت عابسة:

ـ أعتقد أن عليّ الذهاب لأرى ماذا يفعل. لا تعجبني فكرة عمله بمفرده بدون مشرف.

ـ اتخذي هذا العذر لنفسك إذا شئت لكنه لا ينفع معي! هيا! اذهبي! وتذكري حبي أنه طالما هناك حياة.. هناك أمل!

كادت بيلا تعود أدراجها مرتين، فهذا هو السبب الذي جعلها تفكر في القبول بداني.. لأنها الطريقة الوحيدة التي ستبعدها عن يورك إلى الأبد.. مع ذلك، دخلت تجرف غبار الطريق الداخلية بقدميها.

راقب يورك الواقف أمام نافذة في الطابق العلوي ترددها.. كان قد رفع نظره بشكل عفوي عن إطار النافذة الجديد الذي كان يثبته وشعر بالحيرة لأنها توقفت مترددة.. ثم وهي تقترب من الباب الأمامي قامت بعادات عمرها من عمر وجود المرأة. سوت ياقتها، وملست تنورتها، وشدت الحزام فالتوى فمه من الذهول.

سمع كعبيها العاليين على السلم الخشبي الجديد غير المكسو بالسجاد.. لكن، حتى وهو يعرف أنها واقفة خلفه، تابع عمله وهو يصفر بدون نغم محدد.

قالت بصوت متردد جاف قليلاً:

ـ مرحباً! قالت لي العمة إيلينا إنك عملت طوال عطلة الأسبوع..

فكان أن جئت..

ـ لتلقي نظرة على عملي؟

ولم يستدر إليها.

كادت تنفجر غيظاً.. لماذا لم ينظر إليها؟ إنه أكثر الرجال فظاظة وتكبراً.

سمع يورك تنهيدة السخط الخافتة التي لم تدر أنها صدرت منها.. وضع الأدوات من يده على رف النافذة العريض، ثم ارتد ببطء واضعاً يديه في جيبي سرواله.. تأملها للحظات طويلة بدون أن يرف له جفن، ثم ارتفع حاجبه:

ـ حسناً؟

لأن ظهره للنور لم تستطع بيلا رؤية الخبث الطيب الطبيعة الذي كان ينير عينيه، ولم تسمع سوى سخريته.

فسألت بحدة: «هل من خطب؟»

ـ ليس من حيث أقف.. وهل هذه الأناقة من أجلي؟

تحرك بكسل نحوها وكان أن أقترب جسمه الضخم منها مهدداً:

ـ بالتأكيد لا..! اليوم هو الأحد كما تعلم.. وقد ذهبت إلى جمعية القرية ثم جئت أزور عمتي.

ـ أنت من أعضاء القرية.. هه؟ ألم لن يعجبك عملي يوم الأحد؟

أصبح أمامها الآن مع أنها ارتدت خطوتين إلى الوراء.. لكن اتجاهها كان خاطئاً، ولم تصل إلى الباب فأصبحت بينه وبين الجدار، وقال ببطء:

ـ يقول مبدأ جدي: أفضل عمل هو في أفضل يوم..

ـ أنا.. شخصياً.. لا أعمل يوم الأحد.. لكنني لا أقول لأحد ما يفعل.

ـ لا.. أنت تتمشين عادة.. فما رأيك لو نتمشى معاً.. الآن؟



ترددت: «أنا.. لا أعتقد..».

ـ أنا أعتقد أنني عملت جاهداً بما فيه الكفاية ليوم واحد، ألا تعتقدين هذا؟

ابتلعت ريقها وتدفق الدم الحار في عروقها.

ـ كنت.. أعتقد.. أنك لا تحب المشي.

ـ وقلت لك إن هذا وقف على الرفقة..

ثم سار أمامها قاصداً الحمام حيث غسل وجهه ويديه بالماء البارد..

تقدم منها قائلاً: «حسناً.. أنا جاهز».

أحست بالدم يجري أكثر فأكثر في شرايينها.

ـ لم أقل إنني ذاهبة معك لتتمشى.

قال بكل ثقة: «بل ستذهبين.. هيا، تعالي، لا سبب يدفعك لعدم الذهاب.. هل هناك.. الآن؟».

ـ فهمت.. عرفت بما حدث بيني وبين داني.. كان يجب أن أعرف أن العمة إيلينا ستخبرك وتخبر الجميع.

ارتدت عنه قليلاً، ولكنها رغم ذلك نظرت إليه فرأت ذاك التألق الداخلي. إنها تريد أن تذهب معه.. جف فمها..

قالت: «لو جئت معك...».

قاطعها بصوت ملؤه التسلية:

ـ هذا كل ما أريده منك.. نزهة بسيطة.

ـ ألن تغيّر ثيابك أولاً؟

توقف والتفت إليها:

ـ لا، لماذا؟ هل يزعجك منظري؟

عرفت أنها تخاطر بمرافقة هذا الرجل.. ولكنها مخاطرة مدروسة.. يجب أن تُشعرها بما تحس به تجاهه. والطريقة الوحيدة هي

بالتحدث إليه ومعرفة المزيد عنه.

قال: «اختاري الطريق».

جعلها اندفاع غريب تقوده إلى أحد الأماكن المفضلة عندها.. وهو مكان مرتفع معزول.. مكان تذهب إليه عندما تريد أن تتأمل نفسها والكون.. بعد وفاة والدها أمضت عدة ساعات هناك بمفردها تنفس عن حزنها ولعل عزلة هذا المكان هو ما شفاها من الألم والحزن.. أخبرها حدسها أن بورك قد يستفيد من تأثيرها الشافي.. الواضح أنه أفضل حالاً وهو يعمل جاهداً ويتمتع بعمله.. لكن في حياته شيء مفقود.. عرفت أن مزاجه كثير التقلب وهذا ما اعترف به.. وتظن أنه يعاني حالياً من نوبات وحدة، يمضيها متشوقاً للمجهول.

الطريق التي اتخذاها كانت ترتفع بشكل متعرج وهناك كانت شجيرات العلّيق اللذيذ وأشجار اللوز التي تبدو مثقلة بالثمار في الخريف.. أما اليوم فلم يكن هناك سوى وعد بالتوت الذي هو في طريقه إلى النضوج وبجانب هذه الشجرات هناك الساقية المتدفقة نزولاً.. كان خريرها يهجم على مسامعهما.. هنا في ملاذ الأشجار التي لوت جذوعها الريح، يستطيعان النظر إلى أحد جوانب الريف الذي تكثر فيه الأغنام وإلى جانب آخر مغطى بالعشب والزهور البرية وهذا الجانب مرتع السنجاب الأحمر وقطعان الأرنب الوحشية البنية..

رمى نفسيهما على العشب الطري بسبب انقطاع أنفاسهما ثم تبادلا نظرة قبل أن يبتسما برضى لما أنجزاه.

قال: «إن هذا التسلق سبب تشنجاً لعضلاتنا.. لكنه يستحق العناء.. ألا تعتقدين هذا؟».

ـ إنه مكاني المفضل.

ـ إذن لي الشرف لأنك جلبتني إليه. ما هو المميز في هذا المكان؟

ـ كنت أقصد هذا المكان بعد ظهر كل يوم أحد. لكن أمي لم تكن



قطُ من يحب المشي.. كنت أنا وأبي نسير أميالاً وأنا طفلة ولم أكن أجد هذه المسافة طويلة.. لأننا كنا نسير ونتحدث.

سأل بفضول: «عمَّ؟»

ـ عن كل شيء.. كان يبدو حكيماً جداً.. أليس هذا ما تشعر به نحو جدك؟ كنت قادرة على مكالمته في كل شيء..

ارتجف صوتها فجأة:

ـ أفتقده بشكل رهيب.. خاصة هنا.

برقت عيناها الخضراوان بالدموع.

ـ كنتما بلا شك مقربين كثيراً أما أنا فلم أعرف أبي.. وأمي كانت امرأة مفعمة القلب بالمرارة.. آه! لقد بذلت جهداً لتعيلني لكنها لم تظهر لي قط أي حب... كان جداي لطيفين.. لو سمح لها جدي لأفسدتني بتدليلها إياي ولكنه كان نظامياً صارماً.. على الأقل، لديك ذكريات سعيدة عن والدك.

أدركت أن استغراقها الأناني في التذكر لم يكن لبقاً:

ـ أنا آسفة! نسيت، سبق أن قلت لي إنك لا تذكر والدك.. هل مات؟

ـ ليس حسبما أعرف، فهو لم يحب أمي.. كان بحاراً تجارياً جوالاً.. التقت به في حفلة ولكنه لم يستقر معها وقتاً كافياً بعد ولادتي.

أدركت أنه يراقب وجهها ليرى أثر الصدمة أو الشفقة.. لكنها قالت مرة أخرى:

ـ أنا آسفة.. لا يبدو أن هذا عشر حياتك..

ـ ليس كما كان يجب.. لأن جداي ساعداها قدر المستطاع. يا الله! لا أدري لماذا أخبرك بهذا كله! فلا أبوح عادة بأسرار حياتي لغريبة أو غريب. في هذه الأسابيع، أخبرتك أشياء لم أقلها قط لشخص

واحد، لا بد أن جو «نورثمبرلاند» هو ما يجعلني خفيف الرأس.

- وهل تشعرين بالشفقة علي لأنني ربيت بدون أن أرفض الشفقة..

- أكون وحيداً؟ لم لا تقولينها؟ لا.. لا أشعر بالقلق من هذا. أنا مالك لنفسي، لا روابط، لا مسؤوليات.. وعلى كل حال أنا أكره التطرق الى هذا الموضوع.

- إذن لماذا تكره الحديث عن هذا؟

- لا أظنه موضوعاً يهم أحداً سواي.

- ماذا عن زوجتك؟ ألم تكن تعرف أسرارك وحياتك في الطفولة؟

- بلى.. وهي من الأسباب التي تجعلني كتوماً هذه الأيام. ارتكبت غلطة شنيعة عندما بحت لامرأة بشيء عن نفسي، على المستوى العاطفي والشخصي!

ولم ترغب في الاستمرار.. فلا تريد أن يقول إن جميع النساء غير جديرات بالثقة.. وهو وثق بها.. أبقت الفكرة لنفسها وغيرت الموضوع.

- قلت إن جدك علمك النجارة؟

سرعان ما لان وجهه:

- أجل.. لا أعتقد أنك تهتمين برؤية بعض الصور؟

ردت بلهفة: «بل أهتم كثيراً بذلك».

أخرج محفظته من جيبه الخلفي وأخرج منها صورتين مهترئتين وكأنهما استخدمتا كثيراً. وهذا ما يدل ربما على رهافة أحاسيسه التي لا يرغب بالاعتراف بها.. عندئذ تساءلت عما إذا كان يحمل صورة لابنه.

أشار إلى امرأة نحيلة متعبة:

- هذه أمي التي لا أشبهها أبداً.. أليس كذلك؟ أعتقد أنني لا أشبه أبي أيضاً.. فأنا أشبه جدي بشكل غريب وطالما قالت لي ذلك جدتي.. وكنت أظن أن إصرارها عائد إلى نفي شبهي بأبي أما الآن



فأرى أنها كانت على حق.

إنها صورة جديه التي التقطت لهما في صباهما. الشبه بينه وبين جده كبير.. كان جده رجلاً مستقيم الجسم قوي البنية، وجدته كانت جميلة، طولها يقارب طول زوجها وتبدو قوية البنية كذلك. كانت تستند إلى ذراعه ترفع رأسها إليه بحب ظاهر.

قال بورك:

- كان شعرها بلون شعرك.. وعندما كانت تتركه حراً منسدلاً كان يصل إلى خصرها.. والواقع أنك تذكريني بها كثيراً.

قالت بهدوء: «أنت تمدحني.. يبدوان لطيفين.. لو تعرفت إليهما لأحببتهما بالتأكيد».

- كانا عظيمين.. فرغم مبادئهما الأخلاقية الصارمة ساعدا أمي ولم يتركاني أبداً..

سألت ساخطة: «ولماذا يتركانك؟ فغريزة الإنسان تدفعه لمساعدة من يحبه إذا ما وقع في مشكلة».

- ليس دائماً.. أيمكنك مساعدة شخص يعاني من مشكلة؟

ردت بوقار: «أتمنى هذا، إنما أعتقد أننا لا نستطيع أن نتكهن بردة فعلنا في الظروف عينها.. ولكنني لو أحببت شخصاً..».

صمتت.. لم يكن لديها فكرة كم بدا وجهها جميلاً في تلك اللحظة.

- أجل؟

- إذا أحببت شخصاً.. آمل.. لا بل أنا متأكدة أنني سأضع مصلحته في الدرجة الأولى.

- مهما كانت حاجاته؟

- مهما كانت.

أدركت في أعماقها أنها ألزمت نفسها بشيء أمامه.

بعد ظهر ذلك اليوم.. سعت بيلا لتعرّف بورك إلى بعض من حدود المقاطعة الريفية.. أرته جمال الغربان المائية الواقفة وسط الساقية وأرته مساكن جماعات «الغرير» التي تظهر خلال الليل لتلعب حول مداخل حجورها.. أخيراً أوصلهما مسيرهما إلى أرض مرجية وصفتها له بيلا بتفصيل دقيق، قالت له إن الزنبق الجرسي الأزرق ينمو هناك في الربيع وإن «مالك الحزين» يبني عشه فوق الأشجار المرتفعة التي تحيط بالبحيرة وسط الغابة.

قال بورك بدهشة: «منذ بضعة أسابيع أقسمت أنه لا يوجد شيء في هذه الأراضي الريفية يستحق التأمل.. أشعر بالذنب لأنني أستمتع بكل هذا..».

رفع يديه كأنه يريد معانقة ما حولهما، حتى السماء الصافية.. لكن نظرته الكئيبة كانت مركزة على بيلا وشعرها الأشقر ووجهها الذي لوحته الشمس ليتماشى بشكل مذهل مع محيطها الريفي.

سألت: «مذنب؟»

ـ المكان أخضر لطيف رغم حرارته.. وهذا يتناقض مع الظروف التي يضطر بعض الناس إلى تحملها.

راحت تراقب وجهه وهو يتحدث بحرية عن المناظر التي تشكل معظم ساعات عمله التي يقضيها سيراً على قدميه والتي، كما فهمت، تلاحقه حتى في أحلامه وتجعل أرقه أرحم من أحلامه.

ـ خذي أفريقيا مثلاً.. المناظر شديدة الروعة.. جبال عظيمة مرتفعة، سهول واسعة، لكنها سهول جرداء يغطيها الغبار.. لا تتصورين المعاناة التي يسببها الجفاف للأهالي.. هناك تتحمل النساء والأطفال العبء الأكبر بجمعهم الحطب والماء والعمل في الحقول والسير أميالاً لا تنتهي تحت الحرارة التي لا يمكنك تصورها.. لا أدري أيهما الأسوأ.. المجاعة أم الحرب.



لزمت بيلا الصمت وعدم الحراك لأنها خائفة من إفساد مزاجه الحالي فهي تعرف أنه موضوع لا يخرج منه بسهولة وأن هذه اللحظات التي يفصح فيها عن نفسه هي لحظات حاسمة للرجل المتحفظ الجهم الوجه الجالس إلى جانبها.

عندما تمكنت الآن من رؤية ما في عينيه، رأت المجاعة والحرب البشعة والموت العبثي.. أحست بأنه يرتجف رغم هذا الحر ولكنها رأته يوجّه نظراته إليها:

ـ تشعرين أنك عاجزة.. لا فائدة منك.. لا تستطيعين مساعدة أحد.

سألت بصوت منخفض:

ـ وساقك؟

ـ آه! إنها قصة أخرى.

ـ أخبرني عنها.

ـ كنت أحضر تقريراً عن ثورة في بلد أفريقي، لا يهم اسمه. وهناك تعرضنا لإطلاق النار. في ذاك اليوم وقعت خسائر كثيرة في الأرواح.. جيش التحرير المزعوم كان يقصف ويقتل المدنيين.. أخيراً أخذوا ستين شخصاً من الأسرى.. أقفل عليهم لأربعة أيام في غرفة صغيرة وفي اليوم الخامس فتحت عصبة من العسكريين النار عليهم وكنت أنا من بينهم.. ولكنني كنت أحد المحظوظين فقد حمتني أجساد الآخرين.. نجوت ولكن جرحت في رأسي واخترقت رصاصة ركبتي.. فيما بعد تمكن سجينين من الهرب وإرسال نجدة للجرحى الباقين.

صمت.. ولكن عينيه كانتا مغلقتين على ذلك المنظر.. فكرت بيلا بأنه يريد العودة فتلوى قلبها ألماً، لأنه معرض للقتل في أي وقت..

دنت منه، فنظر إليها وكأنه عائد فعلاً إلى أرض الخيال.
خافت للحظات من هذا التقارب والدفء.
همس لها:
- بيلا.. تعرفين أنني أريدك.. أحتاج إليك..! قولي إنك تحبيني.. أنا..
نظرات عينيها إليه كانت كفيلة بإخباره بدون أي تحفظ، عن الأحاسيس التي تملأ قلبها وكيانها والتي تسبب لها العذاب، ولكنها في الوقت نفسه تؤكد له حاجتها إليه أيضاً.
نظر إلى لون عينيها الأخضر الدخاني الكثيف. وهمس: «بيلا.. ستكونين لي.. أليس كذلك؟ أنت أهم عندي من كل العالم».

* * *



## ٦ ـ أخذ قلبها ورحل

كانت تستمع إليه لتبتعد عنها. لكنها سمعته يقول:
تأوه: «يا الله.. ماذا أقول؟»
قالت بصوت أجش: «وما الخطب إن أخبرتني بما جرى معك».
تأوه مرة أخرى:
- بيلا.. أنا آسف، ما كان عليّ مصارحتك.. صدقيني أنا أعتذر صادقاً.
خبت أنوار الحب من عينيها وارتجف ثغرها: «لماذا ترفض البوح لي بما يكدرك؟»
وقف وأدار لها ظهره:
- لأن.. لأنك أنت من أنت.. وأنا من أنا.. سبق أن قلت لي أنك لم تعرفي رجلاً.. مع أنك كنت مخطوبة.. لماذا فسخت الخطوبة؟
- خلتك تعرف السبب.
نظر إليها وكأنه يسعى لمعرفة الحقيقة، ثم قال بعصبية:
- يا إلهي! هيا نذهب من هنا.
أطاعته بصمت ولكن الألم كاد يعصر قلبها، ويجفف فمها بحيث كاد لسانها يلتصق.. إنها مجروحة، فهي لا تفهم سبب تغيره المفاجيء..
سألته بصوت متهدج: «لماذا أنت غاضب إلى هذه الدرجة مني؟».



Kotty.com

ـ لست غاضباً منك فقط.. تباً! مع أن عليّ أن أغضب.. ما كان عليك السماح لي بقول ما قلته، كان عليك منعي.. ! أنا غاضب من نفسي لأنني قلت لك إنك لست من الصنف..

ـ لست من صنف النساء اللواتي عرفتهنّ عادة، أعرف هذا.

راحت تسوي فستانها بأصابع مرتجفة باردة رغم دفء المكان.

أضافت: «لكنني ظننتك ستغير رأيك.. هل من خطب بي؟».

كانت صيحة مؤلمة ملؤها اليأس.. ولو استطاعت لاستعادتها.

ـ بيلا.. بيلا..

وكأنما رغماً عنه، اقترب منها وأكد لها:

ـ لا خطب بك أبداً بيلا.. أنت رائعة، وصالحة ومحترمة. إنك من الصنف الذي يحترمه الرجل.. لذا لا يحق لي استغلال كرمك.. أنا..

ثم صمت..

الكرم! جعلتها كرامتها تسحب ردها.

قال بعدما سيطر على نفسه:

ـ الأفضل أن نعود.

هزت رأسها موافقة لأن لا حاجة إلى إضافة أية كلمة.. فليس بينهما ما يمكن قوله.

تركها عند الشاحنة المتوقفة على بُعد بضع مئات من الياردات قرب كوخ المزرعة.. أدارت المحرك بغضب شرس وكأنها تربح به أعصابها المشحونة وأخذت الدموع تتدفق على وجهها لأنه الآن لا يستطيع رؤيتها.. وقادت سيارتها ببطء إلى المنزل.

ـ يا إلهي! انظري إلى مظهرك! انظري إلى هذا الفستان الجديد! إنه متسخ.. أين كنت حتى الآن؟ لو لم يكن طعامنا سلطة باردة لفسد.

قالت لأمها: «كنت أسير.. أسير فقط».



تصاعدت معدتها إلى حلقها لمنظر الطاولة العامرة بالطعام.. طالما كانتا تتناولان الطعام في مثل هذا الوقت من يوم الأحد، وما زالت جويس تحضره لثلاثة أشخاص.

تصاعد صوت جويس باتهام:

ـ تسيرين فقط؟ مع من؟

ـ أمي.. لم أعد طفلة. ولست مضطرة أن..

ـ كنت مع ذلك الرجل.. أليس كذلك؟ هذا مؤكد.. إنه السبب في تركك لداني.. ماذا فعل بك؟

أمسكت ذراع بيلا تهزها بعنف.

قامت بيلا بجهد عظيم لإخفاء عذابها:

ـ أمي، حباً بالله، اهدئي.. وماذا بمقدوره أن يفعل؟ لا تخافي عليّ يا أمي..

استراحت جويس وتركت ذراع ابنتها.

ـ الحمد لله.. للحظات ظننت.. ولكنك كنت معه.. أليس كذلك؟ كنت تسيرين معه.. حسناً.. أنت لا تعرفين شيئاً عنه.. كان قادراً على إلحاق الأذى بك هناك في تلك التلال و..

ردت بحدة:

ـ حسناً.. لم يتعرض إليّ بسوء.

لا داعي لتقول لأمها إن يعجبها..

تناولت الطعام غصباً عنها لئلا تشعر أمها بحزنها.. وكم شعرت بالسعادة عندما أوت إلى غرفتها لتنفرد بنفسها وبأفكارها. ويا لها من أفكار رهيبة!.. كيف ستواجه بورك غداً، أو الأيام الباقية حتى رحيله.. ولكن فكرة رحيله آلمتها..

لم تكن بحاجة إلى الخوف من مواجهته في الصباح التالي، لأنه لم يأت إلى «كوكشاو فارم». في البداية ظنته سيتأخر.. ولكن بعد نصف

ساعة فساعة شعرت بالعياء من شدة الترقب.. والترقب عادة بذرة مثمرة تنتج بسرعة ثمرة التأكيد.. إنه غير قادم إلى الكوخ.. إنه يتجنبها.. أو إنه غادر المنطقة.

لا فائدة.. لن تستطيع العمل. يجب أن تعرف. قبل وقت وطويل من الوقت المعتاد، ذهبت إلى الفندق. ولم تجد الفورد القديمة الصدئة في الفناء.. مع ذلك دفعها الأمل للبحث عن عمتها.

قومتها عينا إيلينا الماكرتين:

- بكّرت بالمجيء.. تعالي إلى الداخل.. أعتقد أنك لم تأت بغرض تناول الطعام؟

- ماذا أرادت أمي؟ ماذا قلت لها؟

- أظنك تعرفين ما كانت تريد.. قلت لها إنك راشدة وإنه يحق لك الحفاظ على أسرارك لنفسك.. أنت هنا لأنك تتساءلين عن مكان بورك؟ صحيح؟

- أجل!

- رحل إلى لندن في الصباح الباكر.. إنه..

كانت تتوقع هذا الخبر ومع ذلك وقع عليها كالصاعقة.. هكذا بكل بساطة رحل.. جلست بيلا وقد انهمرت دموع اليأس كالشلاّل على وجهها..

جلست إيلينا إلى جانبها ووضعت ذراعاً على كتفيها المرتجفتين:

- آه! طفلتي الحبيبة! لماذا كدرك هذا كثيراً؟ إنه فقط..

- لأنه.. لأنه رحل. عرفت أنه رحل ولكنني لم أرغب في تصديق ذلك.. الآن.. لن أراه مجدداً.. و..

- بيلا.. حبيبتي..

- آه عمتي إيلينا.. أنا.. أنا أحبه!

دفنت وجهها في كتف عمتها.. واستسلمت لبؤسها.



- بيلا حبيبتي، ليتك تركتني أتم كلامي! لا داعي لكل هذا العذاب.. لأنه لم يرحل إلى الأبد.. سيعود.

رفعت بيلا رأسها ببطء ونظرت إلى عمتها: «سيعود؟»

بدت عيناها زمردتين لهول كربها ولكنهما الآن متلونتان كقوس قزح:

- حسناً.. لم يسلّم غرفته.. وإن دلّ هذا على شيء.. تحدث بشيء عن إجراء فحص..

- عند الطبيب! هذا يعني أنه يعتقد بأنه أصبح قادراً على العودة إلى العمل.. إنه يريد العودة إلى العمل ليعود إلى وظيفته المتوحشة.. آه عمتي إيلينا إنه يسافر إلى أماكن خطرة كثيراً! كاد يقتل في المرة الأخيرة.. وقد لا يكون محظوظاً في المرة القادمة.

- هس.. طفلتي.. هس! منذ متى هو مراسل صحفي؟ أظنه خلال هذه الفترة تعرّض مراراً لأخطار جسيمة! هذا ليس أمراً غريباً.. عليك عندما تقعين في حب رجل كهذا أن تتقبليه هو وعمله وما يحيط به من مخاطر.. وليس جيداً لك أن تتزوجيه وأنت تأملين أن يغير رأيه بعد الزواج لأن..

تحول بكاء بيلا إلى نحيب:

- ومن.. قال.. شيئاً عن الزواج؟

- حسناً.. أنت.. كما أعتقد.. ألم تتركي داني لهذا السبب.. لتتمكني.. قلت إنك تحبين بورك..

ردت بمرارة:

- أجل.. لكنني لم أقل إنه يحبني.. آه! عمتي.. ما أغباني!

- كيف؟

- آه! إنني غبية لأنني وقعت بحبه.. هو رجل لا يحب الروابط مهما كانت.. عرفت أنه تزوج مرة.. وليس هذا فحسب بل قال لي إنه

لا يريد أن يتورط بشيء ولكنني ظننت.. أنت على حق عمتي.. ظننت أنني قادرة على تغييره.. آه!

دعكت عينيها بوحشية.

أضافت: «فلنغير الموضوع.. أنا آسفة. أتظنين أنني حمقاء لأنني انهرت هكذا كطفلة صغيرة؟.. أخبريني.. هل أنهت دوريس فستان الزفاف؟».

ـ أجل.. وكانت النتيجة رائعة.. قد تحتاجك أنت والوصيفات لتقسن فساتينكن.. ستتصل بك على الأرجح.

ـ أتدركين أنها المرة الثالثة التي أكون فيها وصيفة إحداهن.. أتعرفين ما يقال؟ إن وصيفة زواج لثلاث مرات، لن تتزوج أبداً.

ـ كلام سخيف! فسيأتي يوماً الرجل المناسب.

لكنه جاء، المشكلة أنها ليست المرأة المناسبة.

مرت الأيام التالية بدون أحداث تذكر.. كانت خلالها بيلا في منزل المزرعة تعمل، ولكن العمل لم يعد ممتعاً كما كان مع وجود يورك.. فحتى وهما صامتان كانت تشعر بالأنس..

كاد العمل في الكوخ ينتهي.. وما هي إلا بضعة أسابيع حتى يصبح صالحاً للسكن.. لو كان والدها حياً لشعر بالفخر بسبب ما أنجزت.. ما زالت تفتقد إلى كلمات كلارك وهو يبدي إعجابه بما صنعت.. وليته تعرف إلى يورك.

حين ينتهي المنزل، يجب أن يباع.. هذه كانت النية دائماً بالطبع.. لكنها لا تعرف كيف تقدر الآن على بيعه.. إن لها فيه ذكريات كثيرة، ذكريات لا تتعلق بوالدها فقط، بل بيورك كذلك.. لقد كان معها في كل غرفة، ورأى كل مرحلة من تطوره. أحياناً كانا يتناقشان عن أفضل الوسائل لتزيينه وترتيب أثاثه، وغالباً ما كان ذوقهما متشابهاً.



هكذا تتصور الزواج به.. مشاركة، بهجة وتخطيط لمرحلة قادمة.. وتستطيع أن تقسم بأنه كان يستمتع كثيراً بتقدم العمل في المنزل.

عندما يعود إلى هولمواك، هذا إذا عاد، يجب أن تجبر نفسها على ارتداء قناع بارد وعلى معاملته كما تعامل أي عامل عادي. يجب ألا يعرف مدى الألم الذي سببه لها جرحه، وليته لا يعود.. فراق سريع ونظيف خير من فراق ملؤه العذاب.

نادتها جويس: «بيلا!»

ـ في الحمام.

ـ مخابرة لك.. هل أقول إنك ستتصلين لاحقاً؟

ـ لا.. لا! أنا قادمة! أنا قادمة!

لبست ثيابها وهرعت إلى الجهاز في غرفة نوم أمها.

ـ ألو؟

ـ بيلا؟ آه! عظيم.. أنا دوريس.

ـ آه!

غاصت محبطة على طرف السرير.. للحظة ظنت المكالمة من يورك.. مر أسبوع على رحيله.. لن يعود.. لملمت وقارها وطردت عن نفسها الكآبة.. لقد رحل حتى دون أن يقبض أجرة على عمله في الكوخ وحتى دون أن يدفع أجرة سكنه في الفندق.

اتصلت دوريس لتطلب من بيلا المجيء قريباً لتقيس فستان الوصيفة.

ـ إنها الحاشية السفلى، أحتاج إلى تثبيتها بحسب طولك.. على فكرة.. من ظننتني؟ بدا صوتك يائساً.

فكرت وهي تقود السيارة إلى هولمواك أن دوريس لم تقتنع بتفسير بيلا ولا شك أن إيلينا أخبرت ابنتها عن علاقة بيلا مع أحد نزلائها، فالأم

والابنة كانتا مقربتين على عكس بيلا وأمها.

لكن دوريس انشغلت باهتمامات خاصة..

سألت بلهفة عندما كانت بيلا واقفة أمام المرآة:

- هل أعجبك؟

- بل أحببته.. أنت بارعة في خياطة الفساتين.

لم تصرّ دوريس على ارتداء جميع الوصيفات لوناً واحداً، وهذا ذكاء منها لأن لكل بنية ما يليق بها. اختارت أن يكون لها باقة ملونة حولها، وكان فستان بيلا ذهبياً غير لماع يتناسب بشكل رائع مع شعرها الأشقر ومع بشرتها البرونزية.. في هذه اللحظة تمنت بيلا أن يراها بورك في هذا الفستان..

قالت دوريس: «أمامنا ثلاثة أسابيع».

ثلاثة أسابيع! لو كان أمامها أسابيع حتى موعد عرسها مع بورك لما شعرت بشيء من التوتر بل على العكس لعدّت الأيام المتبقية بفرح عظيم بل الساعات.

بعد مرور أسبوع من ذهابها إلى عمتها وبحثها عن بورك بتهور لم يأت بورك.. لم تبدُ إيلينا قلقة حين ذكرت لها بيلا الفاتورة التي لم يسددها.

- لا أظنه من الأشخاص الذين ينسون ما عليهم من ديون.. ومما قاله لي أعرف أن لديه وعياً اجتماعياً.. ولكنه حتى إن لم يعد إلى هنا سيوصل إليّ الحساب، وفي أسوأ الحالات لدي عنوان.

عنوانه.. عنوان شقته في لندن.. بإمكانها طلب العنوان من عمتها.. لكن ما الفائدة من أخذ العنوان؟ تذكرت بيلا أنها في مقر الجمعية.. فحاولت التركيز على العمل الذي تقوم به.. ثم.. رأته.

من فوق الرؤوس المجتمعة تلاقت عيونهما.. جعله طوله بارزاً كما كانت هي بارزة له.. لم يكن بورك من أعضاء الجمعية.



وقفت جامدة من دون أي حراك، ثم وخزتها إصبع جامدة من الخلف، إصبع السيدة ردهوت وهذا ما أعادها إلى واقعها وأدركت الوقت والمكان.

عاد بورك.. لقد عاد.. الآن ذهب بؤسها.. قد يمنحها الباري» فرصة أخرى.. من دون وعي ارتفع صوتها يدندن بسرور «يأتي العون من الله الذي خلق السموات والأرض» فملأ المبنى كله، ولم يكن هناك صوت غير صوتها، ولكنها أحست أن هناك صوت أنفاس مكتومة أطلقت دفعة واحدة.

- بورك! بورك!

وقف في وسط خطواته الطويلة إلى سيارته، وارتدّ على عقبيه وكأنما يقوم بذلك بغير إرادته.. رآها.. رآها تسرع إليه: «أنت لا تأتي عادة إلى مقر الجمعية».

- لا.. قلت عضواً فيها.

صمت لحظات.. ثم أضاف: كيف حالك.

- بخير شكراً لك.. ما كانت نتيجة مقابلتك مع الطبيب؟ هل صرّح لك بالعودة إلى العمل؟

- لا.. لكنه يعتقد أن الجو هنا يفيدني كثيراً.. وأمرني أن أعود لأشيع رتتيّ أكثر.

تابع سيره صامتاً حتى عاد ليقول:

- اسمعي بيلا.. ما كان يجب أن..

لكنها قاطعته على عجل، خائفة من سماع ما قد يقول:

- إذن ستحتاج إلى العمل لفترة أخرى؟ ما زال هناك بعض العمل الذي يحتاج إلى إنجاز.

كانت عيناها في عتمة الغروب توأمين مشعين.. تتوسلان إليه لئلا يُطفيء نور الأمل فيهما.

عمت الفرحة قلبها وهي تسمعه يقول:
- أجل! أجل.. سأحتاج إلى العمل!

• • •



# ٧ - احترقت حتى أصابعها

- إذن.. هذا هو الرجل الذي تخليت عن ابني من أجله؟

انقلب وهج السعادة في نفس بيلا إلى احمرار حرج بسبب كلمات السيدة ردهوت التي فاجأتهما.. إن هذه المرأة رغم صغر قدها مخيفة.. والأسوأ أن داني اختار هذا المساء بالذات للحضور إلى مقر الجمعية ومرافقة أمه، بعدما امتنع فترة.

ردت بيلا بتردد وعدم ارتياح:

- سيدة ردهوت، أنا..

لكن المرأة العجوز ظلت منطلقة:

- لست خائبة الأمل بالتأكيد.. لا تظني هذا أبداً.. فلم أكن أستطيع النوم ليلاً وأنا أفكر في أن ابني داني كان سيتزوج بامرأة قادرة على مثل هذا التصرف.. الشنيع.

هزت رأسها المعتمر القبعة نحو يورك.. فسألتها بيلا بحدة:

- وماذا يفترض بكلامك أن يعني؟

- أعني.. أننا نعرف جميعاً ماذا يجري بينك وبين هذا الرجل، وما لا نعرفه نستطيع أن نحزره. غريب كامل عن المنطقة يصبح في غضون دقائق في منزلك يعمل معك، في منزل فارغ من أحد سواكما.. حسناً.. لا داعي لمزيد من الشرح.. صحيح؟

جُرحت مشاعر بيلا بسبب هذا الهجوم العلني، أما يورك فلم يتأثر

بمثل هذه الأفكار.

قال بلهجة متشددة وبطريقة ساخرة أجفلت الأم وابنها:

- بالنسبة لسيدة متقدمة في العمر، تبدين امرأة غير ناضجة.

أجفلت السيدة ردهوت واحمر وجهها ولكن داني استلم دفة الهجوم:

- وماذا تدعو نفسك؟ عامل عادي يتلاعب بعواطف خطيبتي ويتدخل بكل شؤونها الخاصة لأن له عيناً على ثروتها.. وكما قالت أمي، لا يحتاج المرء إلى خيال خصب ليعرف ما كان يجري بينكما في الوقت الذي كانت فيه تخرج معي.

قالت السيدة ردهوت بلهفة:

- كان عليك رؤية وجهها في مقر الجمعية عندما رأتك.

رد يورك على داني:

- إن مخيلتكما لخصبة! لكنها مخيلة فاسدة. سيدة ردهوت أنا أوافقك الرأي فما أشد سروري لأن بيلا لم تتزوج ابنك.. لكن لأسباب مختلفة.. فهو لا يستحقها.

انفجر داني الذي خطا خطوة تهديد نحو يورك:

- لا أستحقها؟ لا أستحق امرأة جعلتها تقع في حبك؟

قال يورك بلهجة باردة:

- أيها الشاب.. لولا وجود سيدة محترمة.. ولولا أنك دودة حقيرة لا قيمة لها لطرحتك أرضاً بسبب هذا الكلام.. ولكنني تربيت مؤمناً بأن العنف لا يحل شيئاً.. ولأنك تفتقر بشكل مؤسف إلى الثقافة فسأقدم لك نصيحة جيدة نصحني بها جدي.. هناك نوعان من النساء.. النوع الذي تستغله والذي لا يتوقع احتراماً ولا يستحقه.. والنوع الآخر.. النوع الذي تجعل منه زوجة لك وأماً لأولادك.. وأنا أعرف الفرق بينهما.. أما أنت فمن الواضح أنك لا تعرفه.



وقبل أن تفكر الأم أو ابنها برد ارتد يورك على عقبيه مقتاداً بيلا بعيداً عنهما.

حث الخطى قربه بأنفاس مقطوعة:

- يورك! أنا.. شكراً لك.. لا أدري ما أقول غير هذا.

- لا تقولي شيئاً إذن.. ولا تحملي كلامهما على محمل الجد.

ولم تكن مضطرة لتسأل عن قصده ولكن معنوياتها انحطت من جديد.

في الكوخ وفي الصباح التالي حيا تشارلز يورك بفرحة عامرة.

- عدت إذن! أين كنت في الأسبوع المنصرم؟ لماذا لم تخبرنا يا رجل. ظننا أننا خسرناك.. أليس كذلك بيلا حبيبتي؟ ما الذي أخرك؟

- قصدت الطبيب وقمت بأشياء أخرى في لندن كانت تستدعي اهتمامي.

أحست بيلا بوخزة ألم: ربما هناك امرأة تحتاج إلى اهتمامه.

قال تشارلز:

- أتحتاجين إلى يورك في الموقع الآخر؟

- لا.. لكن هناك أشياء ما زال بإمكانه إنجازها هنا.

توردت وجنتاها بسبب نظرة يورك المفاجئة.

قال بعد لحظة صمت: «بصراحة، لم أتوقع أن تبقى وظيفتي شاغرة. اعتقدت أن بيلا وظّفت غيري.. وظّفت شخصاً يستحق العمل أكثر مني».

قال تشارلز وعيناه تغمزان:

- لو كنا قبل عشرين سنة لوافقتك الرأي.. من المحتمل ألا تذكر بيلا ما سأقول ولكنها لما كانت طفلة في الرابعة أو الثالثة من عمرها كانت تقدّم لك أي شيء كهدية من قطعة بسكويت نصف مأكولة إلى صديقتها المفضلة.. ثم وبعدما تشكرها كانت تأخذها منك مرة أخرى

وتقدمها لغيرك ثم تكرر الأمر.

تلاقت عينا يورك السوداوين بعينيها:

ـ عطاء «هندي».. هذا ما حدث إذن مع ردهوت!

صاحت به: «لا شيء من هذا!»

قال بلهجة استفزازية: «حقاً؟»

ظنت أنها تعرف قصده، فاحمر وجهها وشدت على أسنانها وضغطت على شفتها السفلى.. ثم ارتدت لتخفي اللمعان الزائد في عينيها.. واتجهت إلى الدرج..

آه يا إلهي! لا تبقني يائسة هكذا إلى آخر العمر.

ما زال هناك عمل كثير في الطابق العلوي. المدخنة بحاجة إلى تغطية بالجبس.. لكن بيلا وجدت أنها كسولة بشكل غريب، وكرهت البدء بالعمل.. من النافذة رأت تشارلز يغادر المكان وبهذا أصبحت هي ويورك بمفردهما مجدداً. خفق قلبها بشدة بين ضلوعها.

عندما سمعته يرتقي الدرج تقلصت معدتها بمزيج من الإثارة والارتباك.. ولكنها ظلت تنظر إلى الخارج مع أنها لم تكن ترى شيئاً.

ـ بيلا!

ناداها بشكل مفاجيء وبلهجة جافة. كان يقف وراءها على بُعد عدة أقدام، ولكنها شعرت وكأنه بقربها..

ردت هامسة بدون أن تستدير: «نعم!»

ـ يجب أن نتكلم.. أليس كذلك؟

ـ وهل نحتاج؟

قال برقة: «تعرفين هذا.. لم أكن أنوي العودة».

ابتلعت ريقها، كانت حنجرتها جافة: «لم تكن تريد العودة؟»

ـ لا.. عندما خرجت من مقر الجمعية مساء الأمس كنت أنوي الابتعاد مرة أخرى.



التفتت إليه وعيناها الخضراوان تبحثان في وجهه:

ـ ولماذا لم ترحل؟

ـ لا أدري.. بلى.. أعرف.. من الجبن أن أرحل بدون أن أراك وبدون أن أتأكد أنك بخير.

ـ ولماذا لا أكون بخير؟

قال بقسوة متوترة:

ـ لا أظنك بريئة.

لم تستطع نزع بصرها عنه.. وجوده، شيء ما في وقفته المتوترة، في الجو المكهرب.. جعلها مضطربة. عندما اقترب منها ظلّت مسمرة تنظر إليه، تنتظر. مد يده، وانتزع قبعة العمل عن رأسها الأشقر ليحرره ثم قال:

ـ إنها لجريمة أن تخبئي شعرك هكذا.

لكن عينيه اللتين لا قرار لهما كانتا على ثنايا وجهها لا على شعرها.

ردت بصوت مرتجف: «وإن تركته متسدلاً غرق بغبار الجبس».

قال بصوت فظّ: «اقتربي».

أجابته أطرافها.

تحركت إلى جانبه.

فبدا لها من عينيه وكأن الأيام لم تفرق بينهما، كان من الممكن أن تنسى رحيله.. وأن تنسى ما قاله لها يومذاك، لأنه الآن يثبت أنها كلمات خاطئة.. إذ اعتذر منها عن كل ما بدر منه من كلام قاس، وأنه كان يريد أن يقضي بقية حياته مع امرأة فستكون من طرازها.. إنه يريدها.. ونظراته وعيناه وضغط جسمه تدل على أنه راغب في امرأة من طرازها.

سمعته يتمتم: «هذا جنون.. جنون..».

لكنه لم يتوقف عن عناقه.

كانت بيلا هي من أوقفه هذه المرة عن المتابعة قالت:

- يورك.. كفى. يجب أن نذهب. خاصة إن كنت ستندم أو تغضب مجدداً.

ابتعد عنها فجأة وراح ينظر إليها بوجه جهم..

- أنت على حق.. لكن قبل ذلك يجب أن نتابع كلامنا، ومن الأفضل أن نبتعد عن هذا المكان..

عرج إلى الباب. أما هي فبعد لحظات من التردد لحقت به، وخرجا إلى الحديقة المستحمة تحت أشعة الشمس، حديقة في الوقت الحاضر يأكلها العشب الضار المتنامي.

رمى بنفسه بين العشب المرتفع الذي أخذ يخشخش مع كل حركة منه.. وجلست بعيدة قليلاً عنه، فهو لم يدعها لتجلس على مقربة منه.. ومع ذلك أحست بنبضاتها تتسارع وتجعل قلبها يقفز إلى حلقها.. قال إنه يريد أن يتكلم، مع ذلك ها هو مستلق بصمت مطبق الشفتين.. طال الصمت حتى بات لا يطاق.. وهذا ما دفعها لتحثه ولتجبره على المواجهة الحتمية.

قالت بصوت مرتجف متوسل: «يورك؟»

نظر إليها فرأت في عينيه العذاب ذاته الذي تحسّ به..

قال: «يجب أن أردع هذه المشاعر التي أحسها تجاهك عن كل هذا.. تعرفين هذا.. أليس كذلك بيلا؟ يجب أن أرحل وإلا ما استطعت إيقاف نفسي.

همست متألمة: «لماذا؟ لماذا يجب أن تردع نفسك.. إذا كنت.. إذا كنت..».

- أحبك؟ لأن هذا غير كاف بالنسبة إليك.. أليس كذلك؟ أنت تريدين أكثر.. وتستحقين الأفضل.. آه.. ولأنك ستطلبين مني ما هو



أكثر.. استقراراً عاطفياً.. والتزاماً دائماً، لأنك من هذا النوع من النساء.. و.. لا أستطيع أن أقدّم لك هذا.. عندما قلت لك إنك لست النوع الذي أعرفه عادة، هذا ما كنت أقصده.. فالنساء يعرفن دائماً القاعدة.. إنما هذا ليس ما تريدينه أنت بيلا.. أليس كذلك؟

نظرت إليه دون أن ترد.. لو وافقت معه، لو قالت إنها سترغب في المزيد، أكثر مما هو مستعد لتقديمه لخرج من حياتها على كل حال. ما لم تقنعه أنها مستعدة للقبول بشروطه، سيكون على الأقل لها فترة محددة.. وهذا أفضل من لا شيء. على كلا الحالين، ستكون الخاسرة، لكن الطريقة الثانية، سيبقى لها ما تتذكره لما تبقى من حياتها على الأرجح. فهي لا تتصور أن بإمكانها أن تحب رجلاً آخر.. إنه على حق.. حين تعطي.. تعطي إلى الأبد..

خرجت كلماتها بتردد لخوفها مما ستقول:

- فلنفترض.. فلنفترض أنني قلت لك إن طريقتك تناسبني.. إنني سأقبل ما أنت مستعد لتقديمه.

سأل بقسوة من لم يصدق ما سمع:

- أتعرضين أن تكون علاقتنا رسمية؟ أتدركين ما تقولين؟

ردت بصوت رفيع كالخيط: «أجل».

- لا.. لا! نبّاً بيلا! لا أستطيع أن أفعل هذا بك.. قد تظنين أن هذا ما ترغبين فيه وأنك قادرة على تحمله. ولكن فيما بعد.. لا!

مالت إلى الأمام: «أرجوك..».

- أنت لا تعرفين ما أنت مقدمة عليه. لماذا تريدين تصعيب الأمور وأنا أحاول جهدي القيام بما هو مناسب ولائق؟.. أنت مجنونة، تعرفين هذا؟

أقترب منها ونظر بتساؤل في عينيها الخضراوين اللتين ردتا نظرته

ـ هل أنت واثقة من كلامك بيلا . . هل هذا ما تريدين حقاً؟

أغلقت رأسها عن التفكير في المستقبل:

ـ كل الثقة.

سمعت صوت إطارات تطحن الحصى على الطريق الترابية، وسمعت صوت انغلاق باب سيارة وتعالى صوت رجل يناديها باسمها وهذا ما جعلها تقول:

ـ إنه تشارلز!

مرت عيناه على وجهها المتورد. . . لماذا. . آه! لماذا جاء تشارلز الآن؟

قال تشارلز لها بلهجة مرحة:

ـ مررت بالفندق، وكان رئيس البلدية هناك. .

كان بهذا يشير إلى رئيس بلدية هولمواك الصغيرة القديمة:

ـ وافقت السلطات على عرضنا لإصلاح مبنى البلدية. أليس هذا عظيماً؟

مع أن بيلا شاركته الرضى، إلا أنها تمنت لو انتظر ساعة أو أطول لينقل الخبر إليها.

الكثير من المحفورات الحجرية الجميلة في واجهة مبنى البلدية تضررت بفعل عوامل الطقس. . لم يكن إصلاحها مجرد عمل بالنسبة للشركة. . منذ عادت بيلا إلى هيكسهام لتتولى إدارة شركة أبيها، لم يكن هناك شيء تنفذ فيه المهارات التي تدربت عليها أساساً.

قالت وهي تحاول دس دفء الحماسة في صوتها:

ـ إنها أخبار جيدة تشارلز.

ـ رئيس البلدية رؤيتك حالاً. . وقلت له إنك قد تستطيعين توفير نصف ساعة له، إنه بانتظارك في فندق ستاغ. سأقلك إليه هناك.

ارتدّ تشارلز على عقبيه متوقعاً منها اللحاق به. . ولم يكن أمامها



خيار آخر.

عندما مرت بيورك، نظرت إليه، عيناها الخضراوان كزمردتين دافئتين مفعمتين بالشوق والوعد. ولكن عينيه كانتا غير مقروءتين.

قال ببرودة: «ربما كان هذا أفضل».

بسبب انشغال عقلها بالتفكير في يورك لم تستطع التركيز على النقوش المعمارية في السقف، أو التوءات في واجهة مبنى البلدية الحجرية لكن تدريبها المهني أنجدها. وافترقت عن رئيس البلدية وتعابير الرضى على وجهيهما، لأن العمل في المبنى سيبدأ بعد أسبوعين أو ثلاثة كما أملا.

قالت لها إيلينا ستافورد:

ـ لماذا لا تبقين للغداء؟ لقد قرب وقته. . سيصل يورك بعد قليل.

ـ لا أعرف.

ـ أسأل هذا لأن هناك شخصاً آتياً لرؤيته وقت الغداء.

تطلعت إلى وجه ابنة أخيها جيداً وأردفت: «إنها امرأة».

انقلبت معدة بيلا رأساً على عقب:

ـ امرأة من أي نوع؟ كم عمرها؟ كيف هو مظهرها؟

ـ في الثلاثين. . صغيرة الجسم، متناسبة البنية جذابة بطريقة مصقولة قوية، ولقد حجزت غرفة ليومين. . ولكنها لن تقيم أكثر من هذا. . آه! ها هي الآن.

التفتت صوب الباب:

ـ آسفة آنسة لايتون، لكن السيد ويندهام لم يأت. . هذه ابنة أخي، وهو يعمل عندها في الوقت الحاضر. سأترككما لتتعارفا. . الغداء بعد عشر دقائق.

هزت بيلا رأسها. . إنها غير جائعة على أي حال. . الآن تركز اهتمامها على المرأة التي أمامها. . طولها خمسة أقدام وثلاثة إنشات

على الأكثر، بنيتها نحيلة، لكن متناسقة، وجذابة.. بدت كمن خرجت للتو من مجلة أزياء.

قالت المرأة بفضول:

- إذن.. أنت ربة عمل بورك الجديدة؟ لقد سمعت الكثير عنك.

اضطربت بيلا في داخلها.. لقد رأى بورك هذه المرأة مؤخراً وتكلما عنها. ولم تعجبها الفكرة!

- آه!

- لقد وصفك بذات الجمال المهيب.. وأستطيع الآن فهم ما كان يعني.. ربما من الأفضل ألا يبقى هنا طويلاً.

وصل بورك في تلك اللحظة وهذا منع بيلا من الرد بغضب.

- بريتا لايتون! ما أروع رؤيتك!

رحب بها بفرح واضح.. ثم قال

- جئت إذن..

ارتد إلى بيلا ووجهه مضيء بالسعادة.

- إنها.. صديقة قديمة لي.. اسمها بريتانا لايتون.. ماذا ستشربين بريتا؟ ستتناولين الغداء معي؟

التفت إلى بيلا:

- لن تمانع عمتك إن لم أنضم إليكم في الداخل.. أو، ربما، أحببت تناول الطعام معنا.. هنا في الخارج؟

ردت بيلا بجفاء:

- لا.. شكراً.. أنا واثقة إنه لديك ولدى الآنسة لايتون أشياء كثيرة تتكلمان عنها..

- هذا صحيح.. في الواقع.

- أقصد أن لدينا أشياء نناقشها تتعلق بالعرس.

نظرت بريتا إليها مجفلة:



- آه! ستتزوجان؟ لكنني ظننت..

- لا.. ابنة عمتي ستتزوج؟

قال بورك ببطء:

- في هذه الحالة، هل لديك مانع في أخذ إجازة لبعد الظهر؟ بريتا لا تعرف هذا الجزء من العالم بعد.. و..

ردت ببرود:

- لا أمانع أبداً.. أستطيع تدبر الأمور بدونك.

فكرت: لكنها لن تستطيع القيام بشيء من دونه! تصاعد العذاب في داخلها، إنها واثقة أن «بريتا» جاءت لتأخذه بعيداً قبل.. حاولت إقناع نفسها: قبل أن تتعلقي بي أكثر.. قبل أن تحرقي أصابعك.. وعليك أن تحمدي الله.. على هذا.

لا فائدة.. القدر بشخص بريتا لايتون سيتدخل لمحاولة إنقاذها من حماقتها.. ولكنها لا تشعر أبداً بالامتنان.

• • •

## ٨ ـ عاد ليرحل

قالت إيلينا ستانفورد:

ـ أنا مسرورة لأنك لن تبدئي العمل في البلدية قبل زفاف دوريس.

ـ هم.

ـ سيفسد منظر الطاولات صور العرس.

ـ هم.

صاحت إيلينا بسخط:

ـ هل أكل القط لسانك؟ أم لعله العصفور؟

نظرت إليها بيلا بذهول.

فأضافت: «ألعله قط اسمه لايتون؟ بيلا أنا أكلمك منذ وقت طويل ولكنك لم تسمعي كلمة.. هل تفكرين في صديقة بورك؟».

هزت بيلا رأسها في محاولة لإبعاد الكآبة عن نفسها:

ـ أنا آسفة.

لم يسبق أن اختبرت مثل هذه الغيرة السوداء الشريرة.. لو سألها أحد قبل الآن عن الغيرة لردت أنها لا تعرف شيئاً عنها.. أما الآن..

سألت إيلينا:

ـ من هي الآنسة لايتون بالنسبة لبورك؟ أتعرفين؟

ـ ليس لدي فكرة.. ولن يهمني أبداً.. آه.. آسفة عمتي إيلينا.. لم أقصد أن أرد عليك بحدة، المشكلة إنني أهتم.. لكنني مشوشة..



ـ حسناً.. يجب ألا تدعي هذا يبعد تفكيرك عن عملك حبي.. عندما كان يتحدث إليك رئيس البلدية شعرت أن أفكارك كانت في مكان آخر.

ـ يا إلهي.. وهل لاحظ هذا؟

ـ لا أعتقد لأنه كان منفعلاً كثيراً وغارقاً فيما كان يقول.. لكن ليس هذا ما أقصده.. يجب ألا تدعي تركيزك يتشتت وأنت تعملين واقفة على السقالة.

وعدتها بيلا بمواجهة الحقيقة على مضض:

ـ لن يحدث هذا. على أي حال.. قد لا يكون بورك هنا في هذا الوقت.. آه.. ليته لم يأت إلى «نورثمير لاند»!

في وقت متأخر من بعد ظهر ذلك اليوم، وقت انتهاء العمل تقريباً وصل بورك والآنسة لايتون إلى الكوخ:

ـ جلبت بريتا لترى المنزل.

رفعت بيلا رأسها عن قطعة خشب كانت تقشرها، عندما نظرت إلى المرأة الأخرى الأنيقة المرتبة أدركت مدى اتساخ يديها ومدى كثافة الغبار على وجهها.

أجبرت نفسها على القول: «آه! هل تهتمين بالمباني القديمة؟».

ـ هذا صحيح.. ولكنني أكثر فضولاً لأعرف كيف كان بورك يمضي أوقاته.

قالت بيلا التي لم تكن قادرة على إخفاء الحدة من صوتها:

ـ إذن.. من الأفضل أن يريك المكان. أنا مشغولة!

ولكن تفكيرها ظل مشتتاً وهي تعمل.. سمعت أصواتهما ووقع أقدامهما تبتعد في الغرف التحتية، ثم على الدرج، وفي الطابق العلوي.. ثم بدا أنهما غابا عنها مدة طويلة.. توقفت عن نشر الخشب وراحت ترهف السمع.. ران صمت قصير.. ثم تعالى الضحك.. ماذا

يفعلان معاً فوق؟ هزت رأسها لتبعد عنها مثل هذه الخيالات فانزلق المنشار الذي أصاب يدها.

لم تذكر أنها صرخت ولكنها صرخت بالتأكيد لأنها سمعت وقع أقدام تركض وسمعت صيحة تأثر ولكن الصوت كان قادماً إليها عبر ضباب دوار يتراقص ويتبدل في مليون لون ولون أمام عينيها.. ألوان طغى عليها لون الدم القاني.. ثم هدأ كل شيء وأسود.

- إنها تستعيد وعيها. حباً بالله ألا يمكنك أن تسرعي قليلاً؟

كان صوت يورك يتناهى إليها من مكان ما بجانب رأسها.. ثم سرعان ما عرفت أنها بين ذراعيه ثم سمعت الضرب الثابت تحت أذنها.. أنهما في مقعد السيارة الخلفي..

رد صوت مألوف لها كذلك:

- بالتأكيد [illegible] ولكن لن يفيد صديقتك الانتهاء جانباً في حفرة على الط[illegible].

هذه بريتانا.. بريتا لايتون.. [illegible] ورغم معرفتها بـ يورك بجانبها ورغم قلقه الواضح لم تستطع إبعاد الثقل الخانق الذي حط في صدرها.. بريتا صديقة قديمة له ولكنها ما تزال في حياته.

- يورك؟

خرج صوتها متكسراً كصوت طفلة.

رد عليها صوت عميق: «هس.. أنت بخير.. تعرضت لحادث بالمنشار. نحن نقلك إلى المستشفى.. أحمد الله لأنني كنت أنا وبريتا هناك».

لو لم يكونا، لما حصل لها هذا.. إنما ليس من المفترض أن يعرف يورك أن جلبه صديقته إلى المنزل هو ما عرضها لهذا الحادث. ولكن ألم يحذرها بأنها ستجرح نفسها إن أخذته على محمل الجد كثيراً؟



تمتمت: «على الأقل.. لم أقع من السقالة».

سألت بريتا: «أمي تهذي؟»

لم يكن الجرح عميقاً كما ظنوا في البداية، ولم يحتج الأمر إلا إلى بضع غرز وإلى حقنة مضادة للتسمم والعودة إلى البيت لتستريح..

قال يورك لبريتا وهم في السيارة:

- سأرشدك إلى منزل بيلا.

أملت أن ينزلاها في الطريق خارج المنزل لتجنب الضجيج الذي ستثيره أمها.. ولكن يورك طلب من بريتا العبور بالسيارة إلى تحت قنطرة الباب..

شاهدتهم جويس [illegible] من نافذة المطبخ، ثم رأت يورك يساعد بيلا في الخروج من السيارة.

وضعت ذراعيها على خصرها:

- الآن ماذا؟

في هذه المرة لم ترحب بيورك. خاصة بما لامته جويس على انفعال ابنتها عن دانى ردهوت.

[illegible] يورك بـ[illegible] عداءها:

- يبدو أني جلبت بيلا إلى المنزل دا[illegible] هي في أسوأ حال.. أليس كذلك؟ لم تتأذ كثيراً ستكون على ما يرام بعد فنجان من الشاي الساخن الحلو المذاق.

- من الأفضل أن تدخل إذن، فما دمت سأعدّ الشاي لشخص واحد فلما لا أعدّه لأربعة.

لكن تصرفات جويس بدأت تتغير تدريجياً خاصة بعدما تبين لها أن صداقة بريتا بيورك طويلة الأمد.. على أي حال، من الصعب مقاومة فتنة بريتا عندما تتحدث بمرح. هنأت جويس على ديكور منزلها الذي لا يمت بصلة إلى «نورثمبرلاند». لو كانت الظروف مختلفة لأحبت بيلا



Kouity.com

بريتا كثيراً. . هذا ما تأكدت منه عندما كانت تصغي إليها تتحدث مع جويس عن كوخ كوكشاو فارم، وموقعه المثالي، وإمكانياته. ولم تمض سوى دقائق حتى كانت المرأتان تناقشان أمور الديكور والأثاث الذي يمكن استخدامه هناك لإعطاء الكوخ أثراً حسناً.

قالت بريتا فجأة: «أعتقد أنني سآخذ جويس إلى منزل المزرعة فهي لم تره بعد إصلاحه».

لكن جويس لم تكن راغبة في رؤيته. . لقد عرضت بيلا عليها عدة مرات مرافقتها إلى هولمواك. .

قالت بريتا: «بإمكانك البقاء هنا يورك. . في حال احتاجت بيلا إلى شيء؟».

نظرت جويس من ابنتها إلى يورك:

ـ أوه. . لكن. .

ضحكت بريتا:

ـ لا تقلقي جويس ستكون بيلا آمنة معه.

قالت بيلا ليورك بقسوة:

ـ لا داعي للبقاء معي، واثقة أنك تفضل الذهاب معهما.

ـ أتحاولين الخلاص مني؟ في البداية أردتني معك والآن ترفضين؟

عرفت أنه يسخر منها. . عرفت أنه يحاول الإيحاء بأن المسائل بسيطة، لكنها مع ذلك وقعت في فخه:

ـ لم أحاول التخلص منك. . اعتقدت فقط. .

وجدت صوتها يرتجف، والدموع تبدأ بالانهمار. . ولكن لن تستخدم الدموع سلاحاً. إنها تكره النساء اللاتي يبكين أمام الرجال.

قال بصوت رقيق:

ـ هاي! تماسكي! أظنك ما زلت تحت تأثير الصدمة.

سحبت نفساً عميقاً وحاولت السيطرة على نفسها. آه! يا الله! ما



أصعب هذا في هذا الوقت الذي تريد فيه أن تدفن وجهها في صدره وأن تتعلق به، وتبكي هناك كل قلقها، ليطمئنها أن بريتا لا تعني شيئاً له. لكنه الآن آخر من تريد أن يطمئنها. . إذ ليس بمقدوره أن يقول لها ما تريد أن تسمع.

قالت محاولة الثبات:

ـ بالتأكيد، لا بد أن هذا هو السبب. . وأنا بخير فعلياً الآن. سأصعد إلى غرفتي لأستلقي قليلاً.

وقفت. . ولكن الحركة المفاجئة جعلتها ترنح ودار رأسها من جديد.

ـ سأساعدك. .

ـ لا!

كانت صيحة ملؤها العذاب. . لا تريده أن يدمر تماسكها مرة أخرى. . لكنه تجاهل احتجاجها، وساعدها على الوصول إلى غرفتها.

ـ أية غرفة غرفتك؟ هذه؟

أجلسها فوق السرير ووضع الغطاء فوقها.

ـ بخير الآن؟

همست: «أجل. . أنت لن تذهب؟».

ـ سأكون في الطابق السفلي إن احتجتني. . من غير الصواب البقاء معك هنا. ألا تعتقدين هذا؟

عرفت ما كان يقول، وبدأ قلبها يخفق بجنون واختفت عيناها أمام نظرته.

ـ يمكنك. . البقاء. . قرب النافذة.

سمعت تنهيدته الساخطة وهي تنظر إلى الغطاء.

ـ تعرفين كيف تختبرين قدرة الرجل على التحمل.

تقدم ليجلس على الكرسي الذي أشارت إليه قرب النافذة.

ران صمت تحول إلى عبء لا يطاق فقطعته:

ـ أعتقد أنك كنت تخبر صديقتك بريتا بأمري؟

ـ قليلاً.

ـ عن مدى غبائي؟ كيف أننا..

ـ لا بيلا! لم أقل لها شيئاً عن هذا.. لست من النوع الذي يتحدث عن شؤونه الخاصة مع أحد.

بالتأكيد.. ما أغباها.. لن يرغب أن تعرف بريتا بما كان يفعل.

ـ ولكنها من طرازك.. أليس كذلك؟

بدا فجأة قلقاً:

ـ دعي الأمر وشأنه بيلا.. هلا تركته رجاء!

لكنها لم تستطع:

ـ قلت.. إنك عدت.. لتنهي الأمر وترحل ثانية. فما هو موقفك الآن؟

ـ في هذه اللحظات، كان يجب أن أكرهك وأكره نفسي.

أقنعتها لهجته بصدق كلامه.

أضاف بصوت متوتر: «حسناً.. ماذا توقعت؟ أن أعود لأطلب الزواج بك؟».

ردت: «لا أدري.. أنت من وضع الفكرة في رأسي.. وكنت أتساءل ليس إلا».

ـ حسناً، لم أعد لأطلب الزواج بك.. وقد أوضحت نفسي بما فيه الكفاية في هذا الموضوع: لا روابط، لا تعقيدات.

ـ وماذا كنت تريد مني أن أفعل؟

ـ بعض الفتيات ما كن ليفكرن في هذا.

ـ أنا لست كسائر الفتيات.. أنا من أنا.

ظل القلق واضحاً عليه: «حسناً! إذن! فلننظر إلى الأمر من ناحية



أخرى، لو قبلت عرضك لاضطررت إلى دفع مصروف لك».

ـ أهذا كل شيء.. أما كنت تريد أن تراني مجدداً؟

بالتأكيد لا.. فقد ترك زوجته تسافر إلى الجهة الأخرى من العالم مع ابنه بدون أن يعترض.

وقف: «تباً لك بيلا!»

بدأ يذرع الغرفة متوتراً.

ـ كيف أعرف؟ لم أتعرض لمثل هذا الموقف.. كنت متزوجاً من أم ولدي. وكنت أظنني متفاهماً معها ولكنني لا أدري لماذا نناقش هذا الآن.. هل لديك أفكار سخيفة؟ اسمعي بيلا.. هل خطر ببالك أن ما تشعرين به نحوي هو مجرد افتتان؟

ـ أهذا.. هو كل ما تشعر به نحوي؟ مجرد إعجاب؟

توقف عن السير وعاد إلى مقعده قرب النافذة:

ـ أجل.. بالتأكيد.. أين ذهبت هاتان المرأتان.. آه.. ها هما أخيراً!

صدمتها الراحة الشديدة التي بانت في صوته.. لا يستطيع الانتظار حتى يغادر.

عمل يورك بعيداً عن بيلا حتى منتصف الصباح التالي.. عندما جلسا في الخارج لتناول القهوة قال: «لقد أعجبت بريتا بالنورثمبر لاند خاصة بهذه المنطقة».

إنه الحديث الأول الحقيقي بينهما ذلك اليوم، كان يتكلم بصوت ثابت وكأنه يتحدث إليها بدافع الأدب.. ولكن بيلا لم تكن مهتمة بما أحبته بريتا أم لم تحبه..

ـ آه!

ـ أجل.. في الواقع، تفكر في تمديد إقامتها لتلقي نظرة على بعض البيوت القديمة.

- لتشتري؟

- تشتري أو تستأجر.. مع أنني قلت لها إن الشراء هو استثمار للمال، أما الإيجار..

- وهي تعمل بنصيحتك دائماً؟

قالت جملتها تلك بحدّة.

أجابها: «أبداً.. إنها سيدة مستقلة الرأي كثيراً.. يجب أن تكون هكذا».

ألأنها صديقتك؟ لكنها لم تضع أفكارها في كلمات.. الواضح أن يورك يعني غيرتها من بريتا.. ولكن أن تشتري المرأة منزلاً في المنطقة لأمر محيّر.. فلا ترى ما يدفعها إلى هذا.. لا بد أن بريتا تعرف أكثر من أي شخص آخر أن يورك لا ينوي البقاء هنا إلى الأبد.

قطع عليها أفكارها:

- على فكرة.. بما أنني قمت الآن بكل ما أستطيع في مجال التجارة هنا، طلبت من تشارلز أن ينقلني إلى الموقع الآخر.

صاحت: لا يحق لك أن تطلب هذا من تشارلز! لماذا؟ لماذا طلبت النقل؟

- أظنك تعرفين السبب.. فليس العمل معاً بمفردنا فكرة سديدة.. تعرفين إلى ما قد يقودنا هذا.. فأنا من البشر..

- ولكنني ظننت.. أننا اتفقنا.

- أن تكون علاقتنا رسمية.. لا بيلا..

قالت بمرارة: «هذا لأن صديقتك بريتا هنا الآن.. ولن تستطيع أن تأخذ قراراً بشأن علاقتنا».

تصلب وجهه وصوته:

- أنت لا تعرفين عمّا تتكلمين.

- ألا أعرف؟



انسلّت منها شهقة بكاء، فقال: «بيلا..».

لكنها كبتت الشهقة وتابعت:

- وجدت قصة تشارلز عني عندما كنت طفلة مسلية جداً.. واستمتعت بالسخرية مني.. ونعتني بالمانحة الهندية؟ ولكنني كنت طفلة.. ولم أكن أفهم شيئاً. أنت لست طفلاً يورك.. ولكنني أتلقى منك ضربة ساخنة ثم أخرى باردة. أنت «المانح الهندي» ولست أنا.

سألها بصوت متزمت: «انتهيت؟»

- أجل.. انتهيت.. وأنت أيضاً! لا داعي لإزعاج نفسك بشأن الانتقال إلى الموقع الآخر.. بإمكانك الرحيل. لا أريد منك أن تعمل عندي ولا أريد أن أراك مجدداً.. يجب أن تكون مسروراً لهذا يورك.. فأخيراً رأيتك على ما أنت. أكرهك.. والآن أخرج من هنا!

نظر إليها بتفهم لطيف:

- أجل.. ربما هذا أفضل.. هل تخبرين تشارلز أم أخبره أنا؟

فجأة أحست بالسقم:

- يورك..

- لا بيلا.. حباً بالله لا تضيفي شيئاً.. أنا ذاهب.

ارتد على عقبيه وخرج مسرعاً.

ركضت إلى النافذة، وراقبته يسير في الطريق إلى الستاغ.. لم يعد يعرج.. وانهارت واجهتها الشجاعة وانطوى جسدها على بعضه، وغاصت نحو الأرض يداها فوق وجهها والدموع تتدفق من بين أصابعها.

بعد ساعة من هذا، قالت بيلا بمزاج سوداوي وهي تلحق بعمتها إلى الجناح الخلفي من الفندق:

- أظنني أفقدتك نزيلاً.. بل نزيلين في الواقع.

بدت الحيرة على إيلينا: «آه!»

ارتفع ذقن بيلا:

ـ طردت للتو يورك من العمل، وهو مغادر.. لذا يجب أن تذهب صديقته معه.. أليس كذلك؟

ـ لم يقولا شيئاً عن الرحيل.

غار قلبها:

ـ لا.. أما زالا هنا؟

ـ تناولا الغداء في المطعم.. ثم خرجا بسيارتها للبحث عن منزل لها.

تفرست إيلينا في وجه ابنة أخيها فإذا عيناها الخضراوان غائمتان وجفناها محمران قليلاً.

ـ إذن افترقتما.. وأمرته بالرحيل؟

رفعت ذقنها بكبرياء: «أجل.. أنا.. أنا أكرهه بشدة».

ـ هكذا إذن.

لكن بيلا عرفت أن عمتها لم تصدق كلمة منها.

فقالت بشراسة: «أعني ما أقول!»

ـ طبعاً يا حبيبتي..

لكن بيلا لم تكن تعني ما تقول.. فساعة العذاب تلك دفعتها إلى مواجهة واقع ضرورة إنقاذ القليل مما تبقى لكرامتها. سعيداً بزواجه منها. وأنها قد لا تنجح أبداً في خداع نفسها.. لكنها ستتمكن من ارتداء قناع يراه الجميع. وقبل أي شيء آخر، يجب أن يقنع مظهرها الخارجي يورك، يجب أن يقتنع بأنها لم تعد مهتمة بما يفعل، أو إلى أين يذهب، ومع من.

في الأسابيع الثلاثة التالية تجنبت بيلا ارتياد الفندق، لذا اعتادت على حمل سندويشات للغداء معها. ولكنها زارت عمتها وابنتها، فموعد العرس يقترب.. ولكنها حصرت زياراتها في أوقات معينة



لتتجنب رؤية يورك وبريتا التي ما تزال مرافقته الدائمة.

حان وقت عرض كوكشاو فارم في السوق وتوجب عليها تركيز طاقتها على مشروع آخر.. لكنها تحب ذلك الكوخ القديم.. وتتمنى لو تكون من تزينه وتعيش فيه.

قالت لتشارلز بوجه متجهم:

ـ وضعت إعلاناً في صحيفتي «كورانت» «ونيوكاسل».

نظر تشارلز إليها متفرساً:

ـ آه! إذن ستبدئين العمل في مبنى البلدية؟

ـ لا.. ليس بعد، سمعت هذا الصباح فقط أن المشروع آخر.. لكن يجب الانتظار إلى مطلع السنة المالية القادمة.. وهذا يعني الربيع.

ـ كنت تتطلعين شوقاً للعمل فيه.. أليس كذلك؟ لأن ذلك سيشغل تفكيرك عن أشياء أخرى.

تشارلز يعرف.. عمتها تعرف.. وأمها ترتاب.. وهي تكره أن تكون موضوع شفقة ولهذا كرهت يورك.. قريباً ستراقب ابنة عمتها وهي تسير في حفلة زفافها نحو المذبح وذراعها بذراع الرجل الذي تحب.. يا للمحظوظة السعيدة.. دوريس.

كان يوم الزفاف رائعاً.. يوماً مشمساً..

قالت إيلينا ستانفورد بعدما أطلت إلى حيث كانت وصيفات العروس يرتدين ملابسهن:

ـ تضرعت إلى الله ليبقى الطقس صافياً ولتتمكن من إقامة حفل الاستقبال في السرادق كما خططنا.. بيلا حبيبتي، تبدين رائعة في هذا الفستان.. جميلة جداً.

بدت رائعة في فستانها المذهب.. وكانت الشمس قد حولت شعرها إلى ذهب وبشرتها إلى لون عسلي.. وحده المراقب المتشدد قد يلاحظ الضياع في عينيها الخضراوين.

عندما خرجت العروس كان بورك واقفاً في الخارج.. رأته بيلا. هذا أمر حتمي.. فلا بد أن تلتقيه.. ولكن عيونهما انجذبت إلى بعضهما بقوة ساحرة مغناطيسية، ربما لا يحبها بورك ولكنه ما زال يشعر بجاذب قوي نحوها.. ولا بد أن بريتا الواقفة بجانبه على ذراعه هي التي أقنعته بالمجيء.. وإلا ما اهتم بكل هذا.

ـ بيلا!

إنه صوت بريتا.

ـ تبدين رائعة! ليتني كنت طويلة فخمة مثلك.

قال بورك: «أجل تبدين جميلة جداً».

أية قوة على وجه الأرض انتزعت هذه الكلمات منه؟ ولكن كلماته أجفلتها بحيث أدارت رأسها نحوه.. للحظات، رأت وهج شيء مثير للاضطراب في عينيه السوداوين، ثم تابعت الطريق وأطرافها ترتجف بحيث لم تعرف كيف وصلت إلى الفندق.

خلال حفل الاستقبال تحدثت إلى العائلة والضيوف، وأجبرت نفسها على الضحك، وأكلت من الطعام اللذيذ وإن لم تكن تشعر بالجوع فكلماته ما زالت تدور في رأسها «تبدين جميلة جداً» ولكنه كان برفقة تلك المرأة التي كانت بجانبه.

ـ بيلا.. حبيبتي.. هلا ذهبت إلى الأعلى لتساعدي دوريس على تغيير ثيابها؟ إنها وجون يرغبان في الهروب بسرعة.

ـ أجل.. أجل عمتي.. بالتأكيد.

لم تبذل جهداً لالتقاط باقة الزهر التي رمتها دوريس في الهواء وكأنما تعمدت ابنة عمتها أن ترميها لها، ولم تستبعد بيلا أن تكون عمتها هي من رتب الأمر لأنها تظن أن ذلك سيبهجها قليلاً.. ولكن الأمر انعكس بسوء عليها.. لن يأتي دورها أبداً.. ولن يغير هذا الواقع شيئاً.



بكت العمّة إيلينا عندما انطلق العروسان، فدوريس هي ابنتها الوحيدة.. أما العم فرد فبدا قلقاً متململاً، لا شك أنه يتوق للعودة إلى شقته ليقرأ كتاباً.. لكنه عوض هذا تقدم والعمة إيلينا ليعلنا عن بدء الحفلة.

لم تشعر بيلا برغبة في حضور الحفلة.. لكن من الغرابة أن تختفي وصيفة العروس الأولى بسرعة. تنهدت.. معظم الواجبات الاجتماعية الآن على عاتقها.. كل ما تأمله ألا تطول الأمسية.. لكن اليوم هو السبت، والليل طويل ورائع.. ولم يبدُ على أحد أنه على عجلة من أمره.

لفت انتباه بيلا زوجين يضحكان.. بدوا مستمتعين كلياً بالسهرة.. حلّت الصدمة مكان مشاعر السخط وهمست لعمتها بغضب:

ـ ماذا يفعلان هنا؟

ـ لقد دعوتهما إلى الحفلة.. إنهما النزيلان الوحيدان الباقيان في الفندق في نهاية الأسبوع.. من الفظاظة أن أستثنيهما.. كما أنني معجبة بهما.. كليهما.

نظرت بيلا بحدة إليها:

ـ أوه.. كيف يمكنك هذا عمتي إيلينا، وأنت تعرفين..

ابتعدت عن عمتها والدموع تحرق مؤخرة عينيها.

ـ هل لي أن أجلس بقربك؟

لكنه تجاهل رفضها وجلس بقربها

فجأة تغيرت الموسيقى التي تحوّلت إلى نغم مختلف. كان واقفاً وراءها يمد يده فتجاهلتها!

ـ لا! لا يمكنك الجلوس بقربي!

حاولت عدم السماح له بأن يجلس بقربها. لكن بدا أنه بورك راغب

في أن تكون قريبة منه، بحيث شعرت بضربات قلبها تتسارع.. وحاولت بيأس إبقاء نفسها بعيدة غير متأثرة.

ليتها لم تكن بهذا الطول وليته كان أطول بقليل.. لكن ارتفاع رأسها كان مناسباً له ليهمس في أذنها.

- رائحتك دائماً نظيفة.

صوته أجش وكأنه يعبر عن إحساس فعلي.. تحرك على شعرها وكأنه يتنشق عطره.

لماذا يفعل هذا؟ يعرف تماماً تأثير ما يفعله بأحاسيسها.. وهو لا يعني شيئاً مما يقول! هذا ظلم.. لقد صدقت أنه رجل لطيف أساساً، ولقد مرت أوقات لم يكن يريد أن يجرح فيها مشاعرها.. ولكنه الآن يحاول أن يجرحها.

حاولت الابتعاد ولكنه منعها. وهذا ما أبقاها قريبة. شهقت.. آه.. ليته يبتعد عنها. تأوهت بشكل مسموع وأحست به ينظر إليها شزراً، لكنها رفضت النظر إليه.

- بيلا.. أود أن نتكلم..

ردت بحدة ولكنها تعمدت أن تكون غير مكترثة:

- تكلم.

- ليس هكذا. في مكان لا يسمعنا فيه أحد.

- لا.

- بيلا.. هناك أشياء كثيرة يجب أن أقولها لك والوداع واحد منها.

- لا!

هذا آخر ما تكره سماعه! هي لا تقوى على مواجهة هذا الواقع.. وأن تكون معه لوحدهما.

- بيلا.. أنا مسافر غداً.. مسافر حقاً هذه المرة.

قالت ببرود حاد: «لماذا لم تسافر قبل الآن؟»



- لأن بريتا..

- أجل! وأين هي الآن؟ أليس عليك مرافقتها؟

- لقد ذهبت لتنام.. رغبت في النوم باكراً.. فهي مسافرة غداً كذلك.

هذا يفسر الأمور.. وهل هناك ما يدفع قلبها إلى القسوة أكثر من هذا.

- هل ستسمحين لي بمكالمتك على انفراد، في مكان ما قبل أن أرحل؟

- لا! ألا تفهم الإنكليزية؟ قلتها لك مرتين!

وقفت فجأة لتتخلص منه.. ثم ارتدت على عقبيها وراحت تركض في السرادق. كان كعبا حذائها يطقطقان بغضب فوق الأرض الخشبية المصقولة.

• • •

## ٩ ـ الحب ليس غلطة

كانت العمة إيلينا تعد القهوة في المطبخ. . نظرت إلى وجه ابنة أخيها المنهك.

ـ بيلا. . حبيبتي؟

ـ أنا متعبة عمتي. . أتعترضين إن أويت إلى فراشي؟

كانت ستبقى لتنام عند عمتها لأن أمها ذهبت باكراً.

ـ لا مانع عندي حبيبتي. . تبدين فعلاً متعبة. اذهبي. . بيلا، هل عرفت أن بورك راحل غداً؟ هل قال ما إذا كان هو وبرينا. .

قاطعتها: «أخبرني أنهما مغادران».

ولا تريد أن تعرف المزيد هذه الليلة. . خاصة فيما يتعلق ببرينا.

كانت متعبة. . لكنها لم تستطع أن تنام بالرغم من توقف الموسيقى ومغادرة آخر المدعوين. استلقت في فراشها تحدق إلى السقف الذي يضيئه نور القمر. . كانت الأغصان المتهادية بلطف ترسم صوراً تجريدية معقدة لمشاعرها. . وها هي الريح بدأت تهب فحركت الهواء الذي جمد مع الرطوبة واستمر أسابيع.

في الأسابيع الماضية تمنت بيلا كلما رأت بورك لو يسافر، أما الآن بعدما قرّر الرحيل فعلياً فتشعر بضيق شديد ولا تتصور أنها قادرة على تحمل رحيله. لم تكن قطّ هذه الكلمة مخيفة قبل الآن. . حاولت أن تقفل تفكيرها وأن تستقر. . لكن الدموع جرت على وجهها، دموعاً



أصبحت تذرفها في هذه الأيام في سرها. .

ارتدت تسوي من جديد وسادتها الساخنة المبللة ولكنها شهقت يأساً. لا فائدة، من الأفضل أن تنهض وتخرج لتتمشى. . لا تبدو الأمور سيئة في الهواء الطلق كما تبدو بين جدران الغرفة.

غسلت وجهها وارتدت سروالاً من الجينز وكنزة، ثم تحركت ببطء وهدوء لئلا تزعج عمتها ونزلت الدرج قاصدة الباب الخلفي الذي لم يكن موصداً.

لم تكن قد خططت كيف ستسير وإلى أين. لكنها لم تدهش عندما اتجهت قدماها لا إرادياً لتنقلاها إلى باب «كوكشاو فارم». وما هو طبيعي أكثر من مجيئها إلى هنا. سرعان ما يصبح المنزل ملكاً لشخص آخر عندئذ لن تستطيع الذهاب إليه متى شاءت. كان الباب نصف مفتوح ولكنها لم تأبه لأن لا خوف حقيقي من الدخلاء.

لم يصدر الدرج الجديد أي صوت كما كان يحدث مع الدرج القديم، ارتقته ودخلت إلى غرفة النوم الأمامية المشرفة على منظر قرية هولموك.

ـ رأيتك تصعدين التل. . وأملت أن تأتي إلى هنا.

انتفضت انتفاضة عنيفة عندما تحرك بورك من زاوية الغرفة المظلمة.

ـ ما. . ماذا. . تفعل هنا؟

ـ لم أستطع النوم. . بسبب الحر ربما، وأنت؟

تمتمت بصوت متوتر: «لا. . أعتقد أنني متعبة كثيراً. . بسبب حفل الزفاف وكل شيء».

ـ لقد هربت مني هذه الليلة بيلا. . لم أظنك جبانة هكذا.

فكرت بمرارة. . وهل توقع منها أن تركض خلفه كما فعلت مرة خارج مبنى البلدية؟

ـ قلت لك لا أريد مكالمتك.. أو أن أراك، كما أني لم أعتقد أنك تريد..

ـ آه! أنا أريدك بيلا.. هل هذا ما تريدين معرفته؟ وهذه هي مشكلتي.. حتى عندما تكونين بعيدة عني لا أقدر على إخراجك من تفكيري.. لكن إن أصبح بيننا بضعة آلاف من الأميال..

صمت كأنما أنفاسه المتسارعة تمنعه من الكلام.

همست من بين شفتين جافتين:

ـ أنت.. ستسافر.. إلى الخارج؟

ـ تعرفين هذا بيلا.. يجب أن أسافر. هذا أحد الأشياء التي أردت محادثتك عنها.. كما أردت أن أخبرك أنني سأقابل الطبيب حالما أصل لندن.. وآمل أن يوافق هذه المرة على سفري.

لم تستطع إخفاء العذاب من صوتها:

ـ وكم سيطول هذا؟ حتى يطلق عليك الرصاص مجدداً؟ أو.. أو.. تقتل؟

ـ لن أقلق على هذا.. صحيح!

ـ لا.. أما أنا فسأقلق.. آه! لماذا أردت أن تخبرني؟ لماذا جئت إلى هنا من بين جميع الأماكن؟ لم أكن راغبة في رؤيتك ثانية.

ـ بيلا! بيلا!

في صوته حنان كبير.. ولكن هذا لا يعني شيئاً..

أضاف: ظننت أن معاملتك إياي ببرود مؤخراً تدل على أنك تجاوزت افتتانك بي.. وأنك أدركت أخيراً صدق قولي.. ما كان سينجح شيء بيننا بيلا. لكنني أردت رؤيتك قبل رحيلي لأطلب منك السماح.. على الأقل.

تغضّن وجهها بسبب قوة مشاعرها:

ـ حسناً.. أنا لم أسامحك! ولن أسامحك لأنك جعلتني أكره



نفسي.

تأوه: «آه! يا إلهي! اسمعي بيلا! لا داعي إلى تأنيب نفسك.. القلب المحب ليس غلطة. لكنك قدمته إلى الرجل غير المناسب.. فما زلت شابة وفي يوم ما ستقابلين شخصاً آخر، شخصاً قادراً على منحك ما تحتاجين إليه حقاً.. بيت دائم، أولاد. شخصاً لم يعش نصف حياته بالترحال.. بيلا.. أنا لا أستطيع، ولن أستطيع أن أعرض عليك نصف وجودي.. وهذا ما كرهته زوجتي.. كفاني زواج واحد تحطم..

ـ لم أطلب منك الالتزامات المترتبة على الزواج!

ـ أعرف.. إنما لن يناسبك هذا الوضع.. فلست من النوع الذي يسعد مع زواج كهذا.

ـ لا داعي أن تتقيد بشروط الزواج.

امتدت يده إلى مؤخرة رأسها:

ـ لا داعي؟ أكنت تريدين من أمك وعمتك.. والعجوز المحب تشارلز.. أن يظنوا أن شخص غير صالح كزوج؟ ألا ترين أن هذا مستحيل؟

فهمت استحالة اقتناعه بمثل هذا الزواج.

أجابت: «بلى».

ـ لهذا أملت أن تغفري لي.. صدقيني.

لم يبق أمامها سوى سلاح الكرامة الغاضبة:

ـ حقاً؟ أتستطيع الوقوف في وجهي والنظر إليّ لتقول لي بصدق إنك ترفض عرضي هذا إن قبلت أنا؟

قال بصوت أجش: «لا! لا أستطيع إدّعاء هذا.. فأنا من البشر».

اقترب منها قائلاً:

ـ أنا مدين لك بالكثير بيلا.. عندما جئت إلى هنا.. كنت في حالة مزرية.. كنت أكره إصابتي وأكره القيد الذي قيدتني فيه.. لكن



Kotty.com

الطبيب كان على صواب.. لم أكن صالحاً للعودة إلى ميدان العمل نفسياً أو جسدياً.. لقد سبق أن عشت وسط الأخطار.. إنّما أعتقد أن تلك الحادثة في أفريقيا كانت القشة التي قسمت ظهر البعير.. وأنت ساعدتني بإنزال ذلك الحمل عن كتفيّ. أريتني أن الحياة لا تزال تستحق أن نعيشها. أعرف الآن، مهما كانت مساهمتي صغيرة، أنني قادر على صنع شيء لأولئك الناس.. وأريد منك أن تعرفي أنني ممتن..

لكنها لا تريد امتنانه!

- لبضعة أسابيع عمل؟

- لا أشير إلى العمل بيلا.. لقد أعطيتني أكثر من هذا بكثير.. ليتني كنت من نوع مختلف وليت بمقدوري دفع الدين الذي أشعر به نحوك.. إنما تأخر الوقت لأغير طريقة عيشي.. منذ طلاقي ومعرفتي لبعض النساء.. أنا أحافظ على مستواي، مهما كان ظنك بي.. لكن منذ طلاقي حرصت على عدم مزج عملي مع المشاعر، أو الخلط بين هذا وذاك، ولحسن الحظ عملي غير المنتظم وغيابي الطويل، منعا عني التعقيدات دائماً.

أبتعدت بيلا عنه:

- سبق أن أخبرتني بهذا وقد تقبلت هذا الواقع.. فلماذا تثير الموضوع مجدداً؟

- لأن.. ألا ترين! لأن عليّ الاعتراف بفضلك عليّ مع أنني لا أستطيع الوفاء بدينيّ.. بيلا، فلنفترق على الأقل كصديقين!

فاجأها اقترابه منها مجدداً..

- يورك.. أنا..

اقترابه منها جعل حبها المكبوت له يتفجر في شرايينها ولكن نور القمر الذي تسلل من النافذة جعل عينيها الخضراوين تبرقان باللون الفضي وكأنها دموع.



انسلّت منه آهة.

- يا الله بيلا! رغم كل شيء أجد أنني أريدك.

كانت نظراته إليها تعبر عن لهفته الحارة تجاهها وقرأت بيلا كل ذلك في عينيه.

وأعادها ذلك الى تعقلها، فابتعدت عنه قائلة:

- لا! إذا كان هذا وداعاً.. فليكن مجرد وداع!

- كنت على صواب عندما قلت إن كل ما أشعر به نحوك هو مجرد افتتان.. تخلصت منه الآن.

وقف للحظات منتصباً صامتاً.. ثم أخرجته ثلاث خطوات واسعة من الغرفة.. ومن حياتها. هذه المرة.. إلى الأبد.

لكن إلى الأبد أم لا.. لم تستطع أن تمحو صورته من رأسها.. فعندما زارت المكتبة المحلية لم تستطع إلا التفتيش في الصحف الوطنية على أمل قراءة اسمه على مقالة ما.. ولكنها لا تعرف اسم الصحيفة التي يكتب فيها.. راقبت تقارير أخبار التلفزيون وأخذت تهتم بمناطق النزاع في العالم علها تعرف أين هو الآن، ثم استعارت المزيد من كتبه من العم فرد لتتنعم بمحتوياتها، تعجب بمدى موهبته لأنه يكاد يجعل المناظر التي يصفها حية.

في إحدى زياراتها للفندق قالت العمة إيلينا:

- في الفندق شخص قد يهمك أمره.

للحظة طار قلب بيلا من مكانه كالمجنون ثم أخذ يخفق بين ضلوعها، ولكن ما إن تابعت عمتها الكلام حتى أدركت أن يورك لم يعد.

- سأعرفك إليه.. أظنه هنا الآن.

- لا تزعجي نفسك.. أنا..

لكن بعد فوات الأوان.. فقد دخلت إيلينا إلى المقهى العام.

إنه شخص مكتنز الجسم، أشقر الشعر، ملتحٍ، على تقيض بورك.

قال: «اسمي نوثان غودتايم».

ـ كيف حالك؟ هل أنت هنا في عطلة؟

ـ أجل.. لأتنشق بعضاً من هواء بريطانيا النقي قبل العودة إلى الغبار الغريب.

ـ تعمل في الخارج؟

لا يعقل أن يكون هذا الرجل مراسلاً صحافياً كذلك! ولكن إن كان صحافياً فهذا يعني أنه يعرف بورك.. أو أنه قد يحمل رسالة منه..

ـ أجل.. أعمل في الخارج كثيراً.

جرّ كرسيه إلى حيث كرسيها.

ـ حدثتني عمتك كثيراً عنك.. إنما على وجه خاص عن عملك.. قد تكونين مفيدة لنا كثيراً.. أتعرفين هذا؟

استراحت قليلاً: «لنا؟»

ـ للجمعية التي أنتمي إليها.. أخبرتني عمتك أنك من أعضاء جمعية القرية وأنا أنتمي إلى جمعية خيرية.

ـ مهلك لحظة سيد غودتايم.. أذهب إلى مقر الجمعية بانتظام هذا صحيح، إنما لا أظنني مؤهلة..

رفع يده يقاطعها:

ـ صحيح.. صحيح! لكن هناك مواهب تستطيعين تقديمها، هناك العديدون من يعملون جسدياً في جمعياتنا عبر العالم.. ويمكننا أن نستفيد من خبرة ومهارة مهندسة معمارية ماهرة مثلك.

قالت بيطء: «فهمت. أتقصد البناء والنجارة وأشياء كهذه؟».

ـ بالضبط.. قالت لي عمتك إنك مررت مؤخراً.. بتجربة تعسة؟ ولهذا تظنك مستعدة.. فمن المفيد لك.. السفر لمدة ما؟ بهدف عمل خيري يفيد الآخرين.



ردت بيطء: «هذا صحيح».

ـ هل تفكرين في الأمر إذن؟ سأبقى هنا يومين آخرين.

ـ سأفكر ملياً في الأمر بالتأكيد.. لكن يصعب عليّ اتخاذ قرار بمثل هذه السرعة.

ولكن رغم ترددها انطلقت الأمور بسرعة.. وكانت إيلينا ملهوفة لدعم الرجل.

ـ إنه الشيء المناسب لك.. فهذا العرض سيخولك السفر وممارسة العمل الذي تحبين في الوقت ذاته. ولن تعرفي.. قد تلتقين بشخص آخر، شخص لديه اهتماماتك. يبدو غودتايم لطيفاً جداً.

ضحكت بيلا للمرة الأولى منذ أسابيع:

ـ آه! عمتي! ليس بمقدور أحد أن يشجعك على شيء! أجل، إنه لطيف، ولكنه ملتزم بالعمل في الخارج مثل.. ولا أرى نفسي زوجة له، كما أنه لا يجذب اهتمامي من هذه الناحية.

مع ذلك وافقت في النهاية على السفر.

ـ إنما لستة أشهر فقط.. في الربيع سأعود لأعمل في البلدية.

ارتفع جناح الطائرة وأخذت الأرض تبتعد بسرعة جنونية، فخفقت معدة بيلا لأنها المرة الأولى التي تسافر فيها جواً.. وكان الإقلاع سيئاً بما فيه الكفاية.. لامست الطائرة الأرض ثم قفزت واستقرت لتقف.. لقد وصلت بيلا.

افريقيا.. الحر الخانق الذي جعل الصيف في انكلترا شيئاً لا يذكر.. هواء ساخن مغبر.. خمسة وعشرون ألف شخص، لاجئون هاربون من المجاعة يعانون من أوبئة، أناس تجمعوا في هذا المخيم في بؤس يائس يقفون في صفوف طويلة طلباً للماء. غطاؤهم الوحيد أكواخ من النباتات المجففة.

العمل بين هؤلاء وتحمّل الصعوبة التي يعانونها لأمر شاق.. لم

يكونوا الإرساليون بمفردهم في هذا.

عملت بيلا بمشقة حتى التصق بجسمها سروالها الجينز وقميصها القطني.. سببت لها الحرارة والجهد الجسدي والطعام الضئيل لأن أعضاء هذه الجمعيات يرفضون تناول طعام أفضل مما يقدمونه للناس، نقصاً في وزنها وهذا ما جعل قسماتها بارزة وعيناها أكثر اتساعاً.

في بعض الأحيان كانت تشعر بتعب شديد يجعلها تنام ليلاً بين النوم واليقظة، إنما لم ينفعها شيء من هذا كله في إبعاد وجه يورك عنها..

قال لها غودنايم ذات مساء وذلك قبل مضي الأشهر الستة:

ـ لقد عملت جاهدة.. لذا أتمنى لو تبقين معنا.. نحن بحاجة إلى امرأة مثلك.. من السهل أكثر إيجاد الرجال، أما إيجاد امرأة تستطيع العمل إلى جانب الرجل وتقدر على مشاركته حياته وعلى دعم حماسته..

صمت قليلاً ثم أضاف:

ـ بيلا.. أيمكنك التفكير في الزواج بي؟

باغتها السؤال الذي لم تتوقعه البتة.. نظرت إليه وهو يقترب منها، ثم أضاف: لا تعطيني ردك الآن.. ربما تسرعت بطلبي قليلاً.. إنما سأقول لك شيئاً أولاً.. كنت أراقبك وأعرف أنك ما زلت تعسة.

لقد عرف في هذه الفترة شيئاً عن علاقتها بيورك.

أضاف: «ما تحتاجين إليه كي تتخلصي من هذا الرجل نهائياً.. هو رجل آخر.. فأنت لن تتمكني من نسيانه حتى يحل محله شخص آخر»

عمتها قالت لها الشيء عينه.. وها هو نوثان يردده ويعرض نفسه كبديل.. إنه يعجبها وتحترمه وتحترم أهدافه.. وهو إلى هذا رجل جذاب.. لكن أيكفي هذا لتبني حياتها من جديد؟ قبل الآن ارتكبت غلطة عندما تقربت من داني هرباً من يورك وعليها ألا تكرر هذا مرة



أخرى.

قال نوثان بهدوء: «حسناً بيلا؟ هل ستفكرين في الأمر؟ في الزواج بي؟»

• • •

# ١٠ ـ حب، خوف، ويأس

كانت بيلا تفكر في طلب نوثان عندما حطت الطائرة على أرض انكلترا مجدداً.

عليها أن ترد على طلبه بالقبول أو الرفض قبل عودتها إلى البلاد.. لكنها لم تعطه الرد.. وكأنها في الأشهر الستة الأخيرة أصبحت ذات شخصيتين مختلفتين أو ربما رأسها وقلبها على طرفي نقيض.

فعندما كانت تسمح لأفكارها باسترجاع صورة يورك كان قلبها يستجيب كالمعتاد.. ولكن عقلها الراجح كان ينهرها ويقول لها إنه من غير الصواب قضاء عمرها بالشوق إلى ما هو بعيد المنال.

قال لها نوثان إن من الخطأ هدر وقتها الثمين لأنها لا تملك غير حياة واحدة لعيشها.. وذكرها أن مواهبها التي منحها إياها الله قد توضع في استخدام جيد لمصلحة الآخرين، وهي تعمل إلى جانبه.

قال عندما توسلت إليه حتى يمهلها وقتاً أطول:

ـ عودي إلى الوطن أولاً.. الواضح أنك ترغبين في محادثة عائلتك بالأمر.. إنما لا تطيلي الابتعاد بيلا.. فنحن بحاجة إليك هنا.

لم يقل إنه هو بحاجة لها.. وهي لا تظنه يحبها فعلاً.. هذه هي المشكلة كلها. إنها تحتاج إلى من يرغبها لشخصها.. لقلبها.. لروحها.. لجسدها، لفكرها.. تلك الأشياء التي تجعلها إيزابيلا رينولدز الفريدة من نوعها.. الإنسانة المستقلة.



في الأيام القليلة التالية لم تجد الوقت للتفكير فيه.. فقد انشغلت بالعودة إلى حياتها وبسرد ما جرى معها لعائلتها وأصدقائها. لم تتغير هيكسهام البتة.. ولكنها شعرت أنها تغيرت بشكل ما.

أخبرها تشارلز جوردان بكل ما جرى في الشركة.. كان المشرف العجوز مسروراً كثيراً برؤيتها.. فالمجمع السكني تمّ وهذا يعني أن بإمكانها البدء بالعمل في مبنى البلدية ساعة تشاء.

أنهى كلامه: «ولقد بعنا «كوكشاو فارم»».

أجفلها الخبر مع أنه أمر طالما توقعته.

ـ آه! ومن اشتراه؟ أهم أناس طيبون؟

بدا لها هذا السؤال مهماً جداً.

ـ أجل.. طيبون. إنها تلك المرأة، صديقة يورك، الآنسة لايتون.. وهي تزين الداخل بشكل عظيم.

انقلب الألم إلى غضب.. بريتا في منزل كوكشاو فارم! إنه منزل كبير لامرأة تعيش بمفردها. وما دامت تريد العيش فيه فهذا يعني أن يورك سيزورها من وقت لآخر.. وهذه فكرة لا تطاق.

ـ وهل تعيش هناك الآن؟

ـ أجل.. اشترته نقداً دون دفعة أولى أو رهن، جاءت بعد شهرين من سفرك ومعها المبلغ.

واجهت بيلا أمها فيما بعد:

ـ لماذا لم تخبريني أن بريتا اشترت منزل المزرعة.. هي من بين كل الناس!

هزت جويس كتفيها: «أوه.. ! عرفت أنك ستكتشفين هذا سريعاً.. ولكنني اعتقدت أنك نسيت تلك العلاقة الحمقاء بسبب وجود رجل شريف عامل يريد الزواج بك.. بالتأكيد لن ترمي الفرصة أدراج الرياح كما فعلت مع داني ردهوت؟».

وكأنما استطاعت أن تنسى! أشعرها كلام أمها بأنها طعنت في الصميم.. لكن جويس لا تعني كلمة «علاقة» حرفياً.. وما جرى في ذلك الصيف الحار الرومانسي لا ينطبق عليها كذلك.

حمل إليها العمل في مبنى البلدية ذكريات تتعلق بزواج دوريس وما تلاه، حيث ودعها بورك الوداع الأخير..

في أحد الأيام قال لها رئيس البلدية:

- كانت الآنسة لايتون حكماً..

فتح التصاميم أمامها على الطاولة ولكن بيلا لم تستطع إخفاء الجفاء من صوتها.

- أوه!

- أجل.. لأنها وافدة جديدة محايدة على المنطقة بالطبع. هل رأيت ما صنعت داخل كوكشاو فارم؟

- لا!

لأنه لاحظ حدتها لم يخض الموضوع مرة أخرى.. لكن العمة إيلينا لم ترتدع.

- ستحبين ما فعلته بريتا بالمنزل القديم.. يجب أن تدعيها تريك المكان في وقت ما.

ردت بيلا ساخطة: «ليس لدي رغبة في ذلك.. إنما يدهشني أن تقترحي عليّ أمراً كهذا».

- بيلا!

إنها المرة الأولى التي تكلمها فيها عمتها بلهجة حادة.

- عليك مهما كانت مشاعرك تجاه الآنسة لايتون أن تتذكري أنها الآن فرد من أفراد مجتمعنا.. ومن المحتم أن تلتقيا و..

- لا.. لو استطعت. عمتي.. لا أقدر على الشعور تجاهها بأي ود.. ولن أكون منافقة إلى درجة أن أدعي.. لذا سأتجنبها.



- أتعتقدين أنها أخذت بورك منك؟ حسناً.. أظنك مخطئة. لو كانا مقربين، فلماذا لم يأت حتى الآن إلى هنا لزيارتها؟ لم يره أحد منذ ستة أشهر.

لكن بيلا لزمت عنادها..

- ربما لا علاقة له معها الآن.. لكنني واثقة من أنه كان على علاقة بها يوماً.. وإن كان مسافراً فكيف له أن يزورها؟

أرادت بيلا تجنب بريتا لايتون ولكنه لم يكن أمراً سهلاً.. ففي يوم أحد وفيما كانت تتنزه سيراً على الأقدام إلى التلال المشرفة على هولمواك، التقتها.. كانت قد سارت بغباء على الطريق الذي سلكته مع بورك، وكان عذابها أكبر لأن الربيع أقبل.. هنا في الأرض المرجية، تكمن الزنابق الزرقاء الجرسية الشكل التي وصفتها له يوماً.. وطار مالك الحزين مرفرفاً بجناحيه ببطء شديد.. لكن كان هناك دخيل فيما اعتبرته بيلا دائماً مكانها الخاص.

- ماذا تفعلين هنا؟

ما إن خرجت الكلمات المتهورة من فمها حتى أدركت بيلا خطأها..

رأت المرأة الصغيرة القد ترفع حاجبيها بدهشة:

- إنها أرض حرة.. أليس كذلك؟ لا أظنني متسللة إلى أملاك أحد.

قانوناً هذا صحيح.. أما بالنسبة لبيلا فالمرأة متسللة على أجمل ذكرياتها السرية. ومع أن بريتا لا تعرف هذا إلا أنها لاحظت العداء بسبب تصرفات بيلا نحوها..

قالت: «أنت لا تحبينني؟ لأنك تظنين أن لي يداً في فسخ علاقتك ببورك؟ ولكنني سررت من أجله لأنه وجد إنسانة مثلك».

ارتدت بيلا لتبتعد: «لا أصدقك!»

ـ صدقيني بيلا.. كنت سعيدة.. لكن قلقة. أحببتك فوراً.. إنما يجب أن أعترف أنني كنت أرى بدور الكارثة.. ولا أريد أن يتألم يورك مجدداً.. لقد عرفته منذ زمن بعيد.. وعرفت بارا أيضاً. كان زواجه ذاك أكبر غلطة ارتكبها بحياته لأنها امرأة غير ناضجة وأنانية لذا لم تفهم سعة أفق الرجل. أرادت ربطه بزواجها منه.. عندما تركته حاملة معها الطفل، أصيب بالمرارة.. وهذا ما جعله يعتقد أنه لن يجد السعادة قط مع امرأة!

ـ لقد أخبرني كل هذا!

ـ إذن.. ألا ترين.. أخبرك أكثر مما أخبر أي شخص آخر.. وإنه لمؤسف أن..

ـ ولكنه أخبرك أيضاً.. وأعرف أيضاً أنه يميل إلى مثيلاتك من النساء اللاتي لا يطلبن منه أي شيء دائم.. أنت لن تطلبي.. صحيح؟

ـ لا.. ولكن السبب أنني..

ـ هاك! هل رأيت؟ ليس لدي فرصة إذن.. بدأ يحب هذا المكان ويحبني ولولا مجيئك لحظيت بفرصة.

ـ بيلا.. ألن تصغي إلي؟ أحب يورك المكان هنا.. لكن هناك ما يجب أن تعرفيه. مهما كان شعوره نحو مكان ما.. أو امرأة ما فلن يتمكن هذا المكان أو هذه المرأة من ربطه.. إنه في الخامسة والثلاثين من عمره.. ولقد جاب أرجاء العالم كله لذا لن يتغير.

ـ آه! أعرف هذا.. لكنني لم أعد أهتم الآن فهو ليس الرجل الوحيد في العالم!

كانتا تقتربان من منزل المزرعة:

ـ بيلا.. أنت لا تعنين هذا.. أعتقد أن علينا أن نتكلم عن يورك.. ألن تدخلي؟ لا ريب أنك عطشى بعد هذا المشوار.. وأنا عطشى أيضاً.



استحوذ على بيلا فضول مفاجىء.. حسناً.. ستدخل لترى ما فعلت بريتا بمنزلها، نعم ستفكر فيه دائماً على أنه منزلها.. ومنزل يورك.. لقد أعاداه معاً إلى الحياة.. هي على الأقل أعطته من روحها.. روح الأمل. فلتتكلم بريتا قدر ما تشاء عن يورك.. لأنه عطشى إلى أخباره فقد مرت ستة أشهر على آخر مرة رأته فيها.

كانت عمتها على حق.. المنزل مزين ومرتب كما أرادت دائماً. فقد وضعت كل التسهيلات العصرية في المطبخ الكبير وفي الغرف الأخرى، إلا أن شخصيتها القديمة ما زالت كما هي: الأثاث الأثري يزين غرفة الطعام وغرفة الجلوس.. والسلم الخشبي ظل بلا سجاد والجدار الأبيض القريب منه علقت عليه لوحتان جيدتان.. لكن بيلا رفضت أن تلقي نظرة على غرفة نومها.. في داخلها ما جعلها تمتنع عن رؤية تفاصيل خاصة بحياة المرأة.

عادتا إلى المطبخ:

ـ إذن.. لم تري يورك مؤخراً؟ قالت العمة إيلينا إنه لم يعد.

قبلت الشراب البارد الذي قدمته لها بريتا التي أخذت تبحث في وجهها عن شيء ما.

ـ لا.. لم يعد إلى هنا أبداً. لكنني رأيته في لندن قبل أن يسافر إلى الخارج.. بقيت هناك حوالى الشهرين لإنهاء بعض الأعمال ثم عدت إلى هنا، أما أنت فكنت مسافرة.. فهمت أن الرجل الذي سافرت معه طلب الزواج بك.

يا للسان العمة إيلينا الثرثار!

ـ أجل.. لقد طلب مني الزواج.. قلت إن يورك سافر إلى الخارج مجدداً؟ لا بد أن طبيبه سمح له؟

ـ أجل.. سافر وما زال في الخارج. اسمعي بيلا.. ليس علي إخبارك بهذا ولا أظنك تهتمين.. لكن بطريقة ما..

وصمت.. أما أعصاب بيلا فصرخت من التوتر والقلق..

- بورك مفقود.

أحست بيلا بالسعادة لأنها كانت جالسة:

- ماذا؟

انزلقت الكوب الفارغة من يدها فانكسرت على الأرض.. مسحت بريتا المكان ونظفت الزجاج المكسور صارفة النظر عن اعتذارات بيلا.

تابعت: «بعدما غادرنا هذا المكان في الخريف.. سافر بورك على الفور تقريباً.. في رحلة قصيرة. ثم عاد إلى لندن لبضعة أسابيع. كان قد مضى شهران على سفرك عندما أرسل مع مصور في مهمة.. ليس لدي الحرية لأخبرك بالمكان الذي قصده ولكنه مكان مخادع خطير.. ومنذ ذلك التاريخ، لم نعرف عنهما شيئاً».

حثتها بيلا بنفاد صبر: «حسناً.. تابعي إذن!»

- بعد وقت قصير من مغادرته انكلترا وصلتنا أخبار مفادها أن جماعة من النساء والرجال الذين هم معظمهم من الصحافيين أخذوا رهائن.. لم يتضح الأمر وقد لا يعرف بالضبط من يحتفظ بهم. قد يكون لهذا أسباب عديدة، لأن الأخبار عنهم اختفت.. إنما أعرف أن بورك من بين الرهائن.

لا بد أن هناك مئات المراسلين الصحافيين يسافرون حول العالم كل يوم.. فلماذا أخذ هو بالذات رهينة..

- ألم يعمل أحد على تحريرهم؟

طارت كبرياؤها في مهب الريح وارتجفت شفتاها.. واتسعت عيناها خوفاً وترقرقت الدموع في عينيها.

- قلت لك إن الموضوع متكتم.. وهناك مفاوضات جارية.. لكن المفاوضين يرفضون أحياناً التنازل أمام مطالب الخاطفين. أظن أن هناك أكثر من جهة متورطة بهذا.



- لكن بعض هؤلاء الخاطفين يقومون بأشياء شنيعة.. وربما هو الآن ميت..

كان عبئاً ثقيلاً عليها البقاء هكذا غير منهارة، ولكنها تمكنت من ذلك.

قالت بريتا ببرود: «هذا صحيح!»

- أتعرفين الكثير عن المسألة؟

- أنا صحافية كذلك.. أنا..

- فهمت!

لا عجب أن تفهمه.. إنهما متشابهان.. وعلى بيلا الابتعاد عليها أن تكون مع شخص من نوعها، مع شخص تستطيع طرح حبها أمامه.. مع شخص تصب كل ما في نفسها من حب يائس.. وشوق.. وخوف. وأقرب شخص منها هو عمتها إيلينا.. اتخذت قراراً واضح وهبّت واقفة ثم تجاهلت يد بريتا الممدودة وهربت من المطبخ تنزل السلالم بسرعة، وتطير في الطريق إلى الفندق.

مرت الأيام القليلة التالية في ضباب من البؤس.. من الهلع والعذاب. أما إيلينا ستافورد فلم تستطع أن تقدم لها الطمأنينة أكثر من بريتا.

- سمعت بالحادثة. إنما لم أظن أن بورك متورط فيها.. ولم تسمع شيئاً في الأخبار منذ ذلك الوقت.

قالت بيلا بمرارة:

- موضوع مثير يدوم ذكره أسبوعاً.. حتى يحدث شيء آخر.. فضيحة مثيرة تتعلق بشخصية شهيرة.

- هيا الآن حبيبتي، قد لا يكون الأمر سيئاً إلى هذا الحد. أعرف أن من السهل قول هذا.. ولكن حاولي ألا تقلقي، فلن يفيدهم القلق ولن يفيدك.. ولكنني ظننتك تخلصت من بورك ويندهام.. قلت لي إنك

تفكرين بشكل جاد في الزواج بنوثان.

ـ حسناً لم أتخلص منه.. ! ولن أستطيع الزواج بنوثان! وأنا أرفض طلبه حتى وإن لم أكن مهتمة بيورك.. فكيف بي وأنا ما زلت متعلقة به.. وهذا جعلني أدرك أن من المستحيل أن يدخل إلى حياتي أحد سواه.. وإن لم أستطع الحصول عليه لأي سبب كان فلا أريد أحداً. سأكتب لنوثان الليلة.. وأخبره بهذا.

في كل يوم كانت وقت الأخبار تتسمر أمام التلفزيون حتى يتلاشى الأمل بسماع أي خبر عن ضحايا الاختطاف.

قالت لها أمها ساخطة:

ـ أنت تمرضين نفسك بهذا.. فأنت لا تأكلين كما يجب.. ولا تنامين كما يجب.. أسمعك تسيرين في البيت ليلاً.. لقد كنت نحيلة بما فيه الكفاية يوم عودتك، انظري إلى نفسك الآن! ثيابك واسعة كثيراً عليك.

أمها على حق.. فكرت بشيء من الهستيريا أن بإمكان ابنة عمتها دوريس أن تشبهها عن حق بعمود التعريشة.. بقيت تقنع نفسها كما كانت تفعل إيلينا دائماً، أن ما من أخبار جيدة.. لقد مضت سنة تقريباً منذ عرفت يورك.. ثم في إحدى الأمسيات وفيما كانت تشاهد برنامجاً كوميدياً لم يجعلها تبتسم ابتسامة واحدة، توقف البرنامج لإذاعة ملحق إخباري.

«وصلتنا أخبار سريعة عن إطلاق سراح الرهائن المحجوزين منذ ستة أشهر.. يا للأسف قتل الخاطفون عدداً منهم ولكن المفاوضات التي سارت أحياناً في طريق دقيقة حساسة، أثمرت عن إطلاق سراح الناجين الباقين على قيد الحياة.. سيصلنا مزيد من التفاصيل بعد نصف ساعة فترقبونا».

كانت بيلا بمفردها فأمها تزور صديقة قديمة لها في نيوكاسل



وستنام عندها.

حذرت بيلا نفسها.. لا تضطربي! قد لا يكون لهذا علاقة بيورك، وإن كان هذا صحيحاً.. فقد لا يكون من بين الناجين.. قالت بصوت مرتفع: «إذا لم يكن..» وصمتت يائسة.

بعد نصف ساعة كانت إيلينا على باب دارها.

ـ كان عليّ المجيء.. أعرف أنك بمفردك، هل سمعت؟ أجل.. بالتأكيد سمعت.. ما رأيك لو أحضر بعض القهوة ونحن ننتظر؟

الأخبار التي كانتا تنتظرانها أخذت الأولوية في النشرة.. كاميرا الأخبار أضاءت مدرج المطار حيث كانت ستحط طائرة الرهائن.. وجرى تعليق عما عرف حتى الآن لملء الفراغ.

بدت الطائرة تحط على الشاشة.. وعندما تقدمت نحو نقطة الوقوف مالت المرأتان إلى الأمام.. ومدت إيلينا يدها تمسك يد بيلا.

وضع سلم إلى جانب الطائرة، وانفتح باب الركاب.. فبدأ الرهائن واحداً واحداً بالظهور.. كانت الراحة تبدو على وجوههم والبسمة تعلو شفاههم.. ثم ظهر.. ظهر حاملاً حقيبة كتف كان يضعها فوق كتفه العريضة وبدا أنه يضع شيئاً ما تحت إبطه، أما وجهه فعلته ابتسامة عريضة.. إنه الآن أشبه بسائح يعود من إجازة، لا رهينة محته استمرت تعذبه ستة أشهر كالكابوس.. كان تقريباً آخر من ظهر.. بعدما عرفت أنه سالم اندفعت الدموع التي كانت تكبتها للانهمار على وجهها.. ولكنها مسحتها بنفاد صبر لئلا تحرمها من نظرة أخرى إليه.

رأته مرة أخرى، يسير فوق المدرج.. ورأت وجهه المتعب يضيء ثم رأت جسداً صغيراً بالقرب منه.

ماذا تفعل بريتا هناك؟ بدا الرد على سؤالها واضحاً في عيني عمتها المتعاطفتين المثبتتين عليها.

* * *

## ١١ ـ أعد لي حياتي

قالت بيلا بصوت جاف:

ـ حسناً.. انتهى الأمر! إنه بخير. أعتقد أن هذا كل ما هو مهم.

قالت إيلينا: «بالتأكيد يا حبيبتي.. تمسكي بهذا».

لكن لم يكن هذا هو كل المهم.. المهم أنها لا ترحب بعودته.. لا بد أن بريتا علمت كونها صحافية بخبر وصوله، ولهذا سعت أن تكون في المكان المناسب.. وقفت بيلا وأطفأت جهاز التلفزيون.

صاحت إيلينا: «أوه.. لا تطفئيه! قد يجرون مقابلة معه».

ستجرى مقابلة مع الرهائن بالتأكيد ولكن هل سيتكلمون مع بورك؟

ارتدت الكاميرات إليه لتلتقي صورته عن قرب وهذا ما خطف أنفاسها.. فالقسمات المألوفة المحببة تملأ الشاشة الصغيرة.

ـ سيد ويندهام؟

تسمّرت بيلا في مكانها وراح توترها يزداد وهي تركز على تفاصيل وجهه كلها..

ـ مررت بتجربة غير عادية في الأسر.. كما أعتقد؟

ـ بإمكانك قول هذا!

انفرج الثغر الجميل إلى ابتسامة قلقة. رأت بيلا من قبل مثل هذا التعب في العينين السوداوين.. لكن الانطباع كان سريعاً، إذ بدأ يعطي



تقريراً عن واقع محنته. كان يتكلم وكأن ما حصل حصل لرجل آخر.. وصف الخوف الشديد والوحدة القاتلة التي عرفها هو وزملاؤه. ووصف كيف عاشوا أشهراً طويلة في أرض مجهولة وكيف اختفوا..

ـ كنا محجوزين في غرفة تحت الأرض.. شاركناها مع أكبر الصراصير حجماً.

قاطعه المعلق: «كانت تجربة رهيبة للنساء.. عرفت أن النساء والرجال احتجزوا».

ـ أولئك الأوغاد! عاملوا النساء بشكل رديء.

حتى الآن، وأمام الكاميرا، كان متحفظاً في تعليقاته عن الخاطفين.. لكن الغضب والمرارة اللتين اختزنهما طويلاً ظهرتا على وجهه وفي صوته.

ـ لم يحترم أولئك المتوحشون النساء البتة.. فإحدى الفتيات تلقت ركلة في وجهها قطعت لها شريان دم وكان أن استغرق شفاؤها أسبوعين.

تابع بورك سرد كيف أن الخاطفين عاملوا الأسرى.. وقال المعلق:

ـ أعتقد أنك نجوت بأعجوبة من الموت!

ـ أجل.. كان هذا حين تلقت الفتاة تلك الركلة في وجهها.. التفتت إلى أحد الخاطفين الذي ضربها وضربته بقوة فلم يعجبه هذا، وحاول قتلي.

ارتجفت بيلا وشعرت بأن الغرفة أصبحت باردة.. عقدت ذراعيها حول نفسها.. ترتجف بسبب هذا الخبر الذي سمعته.. كان يريده ذلك الخاطف قتيلاً.. في هذه اللحظة أنبت نفسها على غيرتها وأنانيتها.. ألا يكفيها أن تعرف أنه آمن وأنه ما زال على قيد الحياة؟.. لقد كانت أنانية عندما أنكرت عليه فرحة لقائه ببريتا.. لكن المقابلة توالت:

- أخيراً أطلقوا سراحكم؟ إنما مقابل أية شروط؟

- مقابل عدم القيام بحملة إعلامية ضدهم للكشف عنهم.. ولكنهم أدركوا أننا نوافق على هذا.

- وهل ستسافر مجدداً في مهمة أخرى سيد ويندهام؟

واجه الكاميرا بجرأة وتكلم بحرارة:

- أجل.. بكل تأكيد.. أعتقد أن من واجب الصحافي كتابة تقارير العالم بحذافيرها.. كما عليه أن يثير الغضب في الرأي العام ضد مثل هذه الأحداث.

- أعتقد أنه أصبح لديك مادة وفيرة لكتابك الجديد؟

- بوفرة!

- أعرف أن الوقت غير مناسب سيد ويندهام.. فأنت بلا ريب ملهوف للعودة إلى منزلك وعائلتك وأصدقائك.. لكن، هل لي أن أطلب منك تأكيداً.. قبل سفرك في المهمة الأولى، هل صحيح أنك خصصت ثلاثة أرباع أرباحك من كتبك لمحاربة المجاعة؟

برق الانزعاج الشديد على وجه يورك المتعب.

- إنها مسألة خاصة وسرية بيني وبين الناشر.

- لكنك لا تنكر؟

- وما الفائدة؟

يبدو أنه اكتفى إذ بدأ يحاول التحرك بعيداً عن الكاميرا، وبعيداً عن المراسلين.

- وما هي خططك الحالية للأيام القليلة المقبلة؟

تهلل وجه يورك فجأة وابتسم وكأن شيئاً أبهجه كثيراً، نظر مباشرة إلى العدسة بحيث أحست بيلا أنه ينظر إليها.

- لن أمانع أن تستغلوا هذا.. فأنا أنوي الزواج وتربية عائلة.

شهقت بيلا بصوت ملؤه العذاب وضغطت قبضتا يدها على فمها.



- مع ذلك أنت مستعد للسفر إلى المناطق المضطربة من العالم؟ كيف تشعر زوجة المستقبل نحو هذا؟

ضحك مجدداً: «لم أسألها حتى الآن.. ولكنني قادر على الاعتماد عليها لتفهم وجهة نظري.. أعتقد أن الكثير من الناس قد يدعونني أحمق.. فأنا قادر على العيش على أرباح كتبي.. التقيت أخيراً بالمرأة الصالحة.. تلك التي أثق أنها ستقبلني من أجل شخصي.. أستطيع الجلوس لأتفرج على العالم كيف يسير.. لكن..».

هز كتفيه بشكل معبر.

المرأة الوحيدة التي تقبله كما هو هي بريتا! هذا واضح فهي التي تعرفه منذ سنوات، وهي التي تشاركه مهنته وتعرف المخاطر التي يرمي نفسه فيها. والواضح أيضاً أين سيكون منزله حين يكون في البلاد. سيعيش وبريتا على باب دارها تقريباً.

فجأة أدركت بيلا أن أسنانها جرحت بشرة أصابعها التي كانت تضر عليها بفمها، وبدأ الدم بالنقطر.. يجب أن تسافر مجدداً.. وجدت فجأة أنها نادمة على رسالتها المستعجلة إلى نوئان التي ترفض فيها الزواج به.. ولكنها لن تستطيع الزواج به.. فمن الظلم استغلاله.

لن تستطيع الزواج بنوئان ولكنها تستطيع أن تعمل إلى جانبه. ستكتب سريعاً لتلك الجمعية الخيرية طالبة عودتها إلى الخدمة، ولكنها لن تخبر أحداً بخطتها.

نظرت بيلا إلى عمتها عبر مائدة الغداء مرتاعة:

- ماذا قلت؟

- رتبت احتفالاً لأحتفي بعودة يورك. سيصل إلى هنا في الأسبوع المقبل بعد إنهاء كتابة تقريره عن عملية الاختطاف. لقد عقد صداقات كثيرة وهو هنا، وأعرف أن الجميع راغب في تهنئته على سلامته.. والتمني له ولبريتا بالسعادة.

أنهت تلك الحادثة في المطار العمة إيلينا أن ابنة أخيها على حق فيما يتعلق بيورك وبريتا.

قالت بيلا بحدة:

ـ حسناً، لا تحسبي حسابي.. لا تنظري إليّ هكذا.. فأنا لا أتمنى له ضرراً.. وأنا سعيدة بعودته سالماً.. لكنني لا أستطيع مواجهته مع بريتا.. فلا تطلبي مني هذا.

مالت إيلينا عبر الطاولة وربتت ذراع ابنة أخيها:

ـ اسمعي حبي. أعرف مشاعرك تجاهه وأعرف أن ذلك يشكل محنة لك.. ولكنني أعتقد أن عليك المرور بها ولو من أجل إنقاذ ماء وجهك، وإلا لبدا واضحاً للجميع بمن فيهم يورك وبريتا، سبب تغيبك.. أنت لا تريدين من الناس أن يعلقوا على هذا.

ـ لا.. لكنني لا أريدهم كذلك أن يشعروا بالأسى عليّ.

ـ إذن احضري مرفوعة الرأس.. دعي الناس يرون معدنك الحقيقي.

تنهدت بيلا:

ـ أنت على حق.. حسناً! سأكون هناك وليس هذا فحسب بل سأشتري فستاناً جديداً للمناسبة! إنما لن أذهب إلى نيوكاسل.. سأشتريه من هنا.

اختارت فستاناً ذهبياً كان معلقاً في واجهة محل في البلدة. وقفت أمام الواجهة لوقت طويل فتذكرت يوم عرس دوريس عندما ارتدت اللون الذهبي، قال يورك إنها تبدو جميلة جداً.. ولكنه في هذه المرة لن ينظر إليها..

وجدت مقاسها.. وعندما ارتدت الفستان بدا رائعاً عليها لأنه قلب تحولها وأعاد حياة جديدة إلى الشعر الأشقر.

حلّ صيف جديد رائع، وكانت الأمسية رائعة والسرادق الكبير



الذي استخدم آخر مرة في عرس دوريس قد أعيد إلى الخدمة مجدداً وكان عدد المدعوين كبيراً وكأن العمة إيلينا دعت الناس كلهم للترحيب بعودة يورك إلى نورثمبرلاند.

عندما أوقفت الشاحنة الصغيرة وانضمت إلى المدعوين راح قلبها يخفق بنغم متسارع غريب. كان الشوق إلى رؤية يورك يملأ قلبها ولكنها كانت في الوقت ذاته خائفة من هذا.. مع أنهما اختلطا مع الأصدقاء والأقرباء والجيران، لم تستطع بيلا منع عينيها عن البحث بين المجتمعين سعياً إلى وجه محدد يجب أن يظهر من فوق رؤوس الجميع.. ولكنها لم تر حتى الآن أثراً له أو لبريتا.. وما إن عثرت على بريتا حتى بدأ الشوق لرؤية يورك يتحول إلى تردد.

ثم حدث ما كان يحدث دائماً.. تلاقت عيونهما وتشابكت عبر الرؤوس.. لكن بيلا هذه المرة أشاحت بوجهها.. ووجدت نفسها ترتجف وكأنها تتألم.. ولم تعد ساقاها قادرتين على حملها وخالت أنها تطير فوق الأرض ولكنها لن تسمح لنفسها أن تغيب عن الوعي خاصة هنا أمام الجميع.

اتجهت إلى فرد ستافورد شامخة الرأس ثابتة الخطوات. لكن عينيها لم تريا وجه العم الحائر.. بل وجه رجل طويل يرتفع فوقها، رجل ما زال قلبها الغبي يميل ويشتاق إليه.

لا تدري كم تستطيع تحمل هذا.. ولا تدري حتى متى تقدر على إظهار السرور على محياها.. على الأقل، تمكنت من تجنب نظرات يورك ولم تقابل بريتا.. ولكنها تخاف ألا يدوم حظها.

ولم يدم.. كان يورك يتحرك ببطء وثقة نحوها، ولكنه لم يتوقف للتوقف حتى يتحدث إلى الناس الذين كانوا يهنئونه.. وأت عينيها عينيها التي لم تفقد أثره وأحست بالذعر يسري فيها.

تمتمت: «أعذرني عمي فرد، أنا مضطرة..»

لم تكمل.. بل بدأت تشق طريقها بين الناس بهدف وضع أكبر مسافة بينها وبين بورك.. لكن ما إن وصلت إلى طرف السرادق الخارجي حتى رأت أنها هزمت نفسها بيدها، فقد رأى مناورتها وسبقها إلى الخارج. وما إن برزت إلى الفراغ، حتى وجدته أمامها وقال الصوت المألوف لها:

- هل تحاولين تجنبي؟

ردت بحدة: «وماذا لو كنت؟ أليس حولك ما يكفي من معجبين فلماذا تريد واحدة أخرى؟»

- معجبين! لم أتصورك تعتبرين نفسك من بينهم.

- هذا صحيح.. أنا.. ماذا تفعل؟

اقترب منها وأخذ يقودها بحزم إلى البعيد بعيداً عن مدعوي عمتها.

- ستتمشى أنا وأنت..

- لا.. لن نذهب، لا أريد..

كان يسير في حديقة الفندق متجهاً إلى البوابة الحديدية ومنها إلى الطريق الخلفية المتعرجة صعوداً إلى التل فوقهما.

قال بصوت متجهم:

- ما تريدينه وما ستحصلين عليه أمران مختلفان.

- لا يمكنك «اختطافي» هكذا.

- لا تبدين سعيدة بنجاتي من ذلك الموقف، ولم تقولي كلمة عنه.. هل تكرهينني إلى هذا الحد بحيث أن مصيري لا يهمك بيلا؟

قالت: «لم تمهلني فرصة لقول شيء.. أنا».

شهقت مغتاظة: «ماذا تفعل هنا؟ لن أذهب إلى هناك».

أوصلهما سيرهما السريع إلى حدود «كوكشاو فارم».

- بل ستذهبين.. إنه المكان الوحيد الذي يخولني الانفراد بك. أريد محادثتك بأمر خاص بعيداً عن أية مقاطعة.



إنه يريد الانفراد بها في المنزل الذي اشترته زوجة المستقبل لتجعله بيتاً لهما.. يا له من رجل قليل الحشمة! لا يمكن! وبدأت تبتعد عنه في محاولة منها للخروج، لأنها شعرت بطعنة في قلبها وهي داخل هذا المنزل.

قالت والدموع تترقرق في عينيها:

- يجب أن أذهب.

أقفل الباب خلفهما بضربة من قدمه، وكان جسمه الضخم مشرفاً عليها وكأنه يخشى أن تهرب.. في غرفة الاستقبال التي تماثل منزل أحلامها.. دون سابق إنذار، اقترب منها مانعاً إياها من الهرب.

خلّفها ضعف لذيذ دافئ وبدأ قلبها يخفق بشدة وتصاعدت أحاسيسها حتى أحست بالنار تسري في شرايينها.. ساعتئذ فقط عادت الواقعية إلى عقلها المتخدر، ومعها جاء غضب شديد، أنه يريد الزواج بامرأة أخرى.. أعطاها الغضب القوة لتبتعد عنه.. وتراجعت في الغرفة لتضع عرض مقعد عريض بينهما.

قالت شاهقة: «أنت كريه لا تطاق!»

- بيلا.. ألا تفهمين..

- آه! أفهم جيداً.. يا إلهي كم أكرهك!

- أذكر وقتاً لم تظهري فيه تجاهي أي كره.. ولم تكرهي تودديي إليك أيضاً.. آه بيلا.. لو عرفت كم فكرت فيك وكم حلمت بك، حين كنت في تلك المحنة. كنت أفكر في هذا الريف وفيك وفي رقتك.

- حسناً.. أنت حر طليق الآن ولا حاجة بك للحلم.. فأنس كل شيء.. كما نسيت أنا.. أنا لا..

- لا أصدق.. إلا إذا.. إلا إذا.. سافرت إلى الخارج مع رجل آخر.. أليس كذلك؟ أخبرتني بريتا بهذا. هل سافرت؟

- أجل! سافرت. وآمل أن أعود إلى هناك لأنضم إليه حالما أنهي عقدي الحالي.

نظر إليها عاقد الحاجبين، ثم ضاقت عيناه والتهبتا بأحاسيس لا وصف لها.

- لن أدعك تسافرين! أتسمعيني؟ لا يمكنك أن تشعري بأي شيء نحوه.. ليس بهذه السرعة.. إلا إذا كنت أخدع نفسي بشأن نوعيتك بين النساء.

لم تصدق.. تصرفه، كلماته، غير مقبولة إطلاقاً.. ردت:

- وأي نوع من النساء تظنني؟

- ظننتك من النوع المخلص الدائم، النوع الذي يستطيع الرجل الاعتماد عليه.. والذي ينتظره.. ويستقبله دائماً بحرارة ويعطي دائماً بسخاء..

يا إلهي! كيف يتجرأ؟ بعد كل ما فعل وقال.

- ألا تكفيك امرأة واحدة؟ يا ذا اللحية الزرقاء؟

- عمّ تتكلمين بحق الله؟

تقدم إليها ولكنها كانت أسرع منه، الأثاث صلب وثابت، وأحست برضى عندما سمعت شتيمته وهو يصدم عظمة ساقه.

- أين بريتا؟

تغضن جبينه:

- بريتا؟ وكيف لي أن أعرف؟ ربما في لندن.. أو في نيويورك.. إنها تسافر كثيراً.

- آه! هكذا إذن.. سيكون لكما هذا النوع من العلاقة.

- علاقة؟ ماذا بحق..؟

- لا تتظاهر بأنك لا تعرف ما أعني.. زواج منفتح! تكونان في حرين.. حسناً، بإمكانك إخراجي من حساباتك.



- لا أريد هذا النوع من الزواج ولا أدري كيف تحول هذا الحديث إلى هذا الاتجاه. بدأت أتساءل فيما إذا كنت أعرفك كما كنت أظن.

- بكل تأكيد لا تعرفني. هل تظن أنني أقيم علاقة معك بعد زواجك ببريتا.

- زواجي بـ..؟ هل أنت مجنونة؟ لن أتزوج بريتا.

- ربما.. لكنك ستتزوجها في النهاية أليس كذلك؟ قلت هذا في المطار.. في تلك المقابلة التلفزيونية.

ارتفع صوتها رغماً عنها إلى حد الهستيريا.. فجأة استرخى وجه يورك وجسمه:

- آه! الآن بدأت أفهم..

- عظيم..! هلا أخرجتني من هنا إذن!

توجهت نحو الباب، ولكنه سد عليها طريقها.

- ليس بهذه السرعة. لقد بدأنا نصل إلى مكان ما.. إنها غلطتي لأنك لم تفهمي.. إننا وسط سوء تفاهم كبير.. ويبدو أن من الأفضل أن نوضح كل شيء ببطء وبساطة. قبل كل شيء أنا لن أتزوج بريتا.

رددت بضعف:

- لا؟ لكن..

- لا! ولم أنوِ قط الزواج بها.. بريتا رئيسة التحرير المسؤولة عني.. وواقع أنها صديقة حميمة أيضاً أمر لا أهمية له.

- لكنها لحقت بك إلى هنا وتحدثت عن الاستقرار، واشترت المنزل..

- جاءت إلى هنا لتراني.. أجل.. ولكن لترى ما إذا كنت أتبع تعليمات الطبيب.. وأرادت كذلك أن تبتعد عن لندن في ذلك الوقت لأنها كانت تمر بموقف حرج في زواجها، و..

- لكنها غير متزوجة! ناديتها بالآنسة!

- إنه اسمها المهني.. ولكنها كانت تفكر بشكل جاد بالطلاق. لذلك بحثت عن منزل في هذه المنطقة فقد أرادت الهرب من لندن والاستقرار في محيط مختلف على أمل أن يكون ذلك حلاً لمشاكلها.

- وهل كان هذا؟

- لا.. رغم كل شيء، هي وزوجها متحابان بشكل جنوني كما كانا يوم الزواج، ولكنهما عنيدان وكلاهما يتحرك بسرعة في مهنته. زوج بريتا هو ناشر كتبي، لكنني أعتقد أنهما سيعودان إلى بعضهما بعض قريباً. لهذا قلت إنها قد تكون في نيويورك لأنه هناك في الوقت الحاضر.. والآن بيلا..

مد يده إليها فلم تحاول أن تتجنبه:

- كفى حديثاً عن بريتا وزوجها.. فماذا عنا؟

إذن ليست بريتا.. لكن لا فرق في هذا.. قد تكون إحدى النساء اللواتي كن سجينات معه.. الفتاة التي دافع عنها ضد ضربات الخاطف.

قالت: «ليس بيننا شيء».

لكنه تجاهل كلماتها:

- النقطة التالية.. هذا البيت لي!

- لك؟ ستعيش هنا إذن؟

- هذه هي الفكرة! سأعيش فيه القدر الذي أستطيع بين مهمة وأخرى.

مد يده إليها فتجاهلتها:

- لماذا؟

- تعجبني المنطقة، وأنت..

- لكنك ستتزوج؟

- أجل.. هذا ما أنويه.. لم أتقدم بطلبي بعد، وبدأت أتساءل عما



إذا كنت قادراً على التقدم بطلبي إن لم تصمتي وتتركيني أتكلم.

اتسعت عينا بيلا الخضراوان، ثم اسودتا. يا إلهي! إنها أساءت فهمه.. لا يمكن أن يعني.. لا.. هذا خداع سمع رهيب سيه شوتها القوي. أدارت ظهرها إليه لئلا يرى كيف تتلاعب مشاعرها على وجهها.

- حسناً بيلا؟ هل ستتركيني أتقدم بطلبي؟

دنا منها.. وفي صوته عنصر الشك.

هذا لا يصدق.. بعد لحظة سيختفي كل شيء من أمامها.. وستستيقظ كما حصل لها غالباً في الأشهر الستة الماضية، لتجد أن النوم يتلاعب بها..

همست بصوت متكسر:

- أرجوك.. كفى. لا تسخر مني.

سألها بحنان: «ألا تريدين الزواج بي؟ ألم تعودي تحبينني؟ أعتقد أنك أحببتني يوماً.. دعيني أعيد إليك حبك لي بيلا..».

وضمها إليه من الخلف، كانت أنفاسه غير ثابتة ودافئة على عنقها المنحنية إلى الأمام.

قالت بصوت ضعيف:

- أنت الذي لم تكن تريد الزواج بي.

- هذا ما كنت أعتقده.. ولكنني كنت غبياً.

أدارها بين ذراعيه لتواجهه:

- أدركت هذا وأنا عائد إلى إنكلترا، وعرفت أنك سافرت إلى الخارج مع رجل آخر.. ثم ذهبت في آخر مهمة.. وعلقت هناك.. صدقيني، كان أمامي وقت طويل للتفكير بغبائي وأنا محبوس في ذلك المكان.. من سوى المعتوه يحرم نفسه من حق العودة إلى البيت ليجد زوجة مثلك؟ من يرفض فرصة نسيان الرعب في العالم الخارجي بين

ذراعيك؟ أن ينسى نفسه ولو لفترة قليلة معك؟ لم يفارقني وجهك قطّ وكنت أتذكر كل ما له علاقة بك.. رؤيتك وأنت هنا في هذا المنزل، في هذه التلال، جعلني أحافظ على عقلي.. ولكن وفي الأشهر الماضية رحت أتضرع إلى الله حتى أراك ثانية.. لأقول لك.. إن الوقت لن يكون متأخراً لنا أبداً.

ضعفت وصدقت الواقع:

- آه.. يورك! أنا..

وضع اصبعه على فمها ليقاطع ما كانت ستقول..

وأخذ جسمها يرتجف.

تمتم بصوت أجش:

- بيلا.. تعالي إلى فوق.. أريد أن أريك غرفتنا.. سريرنا.. ألم تلاحظي أن هذا البيت كما خططنا له أن يكون؟

- لقد تحدثنا بهذا.. لكنني لم أدرك.. لماذا؟ كيف؟

- بعد مغادرتي.. أحسست بقلق رهيب وبدمار.. لقد استمتعت بالعمل هنا.. ولم يكن لي قط بيت بكل ما للكلمة من معنى.. مجرد شقة لا خصوصية لها ولا شخصية. بطريقة ما أعطاني إصلاح هذا البيت الإحساس باكتفاء لم أعرف مثله من قبل.. ظننت أن العودة إلى ميدان العمل سينسيني إياه، فطالما شعرت بهذا في السابق. ولكن هذه المرة لم أنسَ.. وبدأت أدرك..

صمت وراح ينظر إليها بشوق لم يستطع السيطرة عليه..

أضاف: «بين هاتين المهمتين، رأيت بريتا، وفي لحظة طيش طلبت منها شراء المكان لي.. ورحت أصف لها كل الديكور الذي تكلمنا عنه والإصلاحات الداخلية التي تصورناها. ثم لما أدركت ما الذي يزعجني ومدى افتقادي إليك.. قام أولئك الخاطفين باحتجازي.. ولم أستطع الاتصال بك أو بأحد لأقول لك.. بيلا..



ذلك الرجل الذي سافرت معه؟ قلت إنك عائدة لتنضمي إليه؟».

لم تعد بيلا خائفة، فسيكون كل شيء على ما يرام.. رفعت وجهها إليه بكل ثقة.

- إنه لا يعني أي شيء لي.. ولم يكن يوماً.. كان عملاً فقط.. عملاً أردت أن يساعدني على النسيان.. وفوق ذلك رغبت في التورط بأشياء تهمك.

أدركت هذا.. أدركت لماذا قبلت العمل مع الجمعية الخيرية ولماذا أشعرها هذا بالرضى.

- أوه.. يا إلهي! بيلا.. هل ستتزوجينني؟

- أجل! إذا كنت واثقاً أن هذا ما تريد؟

- إنه ما أريد.. وهو أهم من الحياة ذاتها.. أظن.. لا.. بل أنا متأكد أنني وقعت في حبك، منذ اللحظة الأولى.. لكنني قاومت. لا بد أن هناك الكثير من كبرياء جدي في داخلي وأكثر مما أعرف.

- لكن لا بد أن جدك كان سيفهم، ولا بد أنه عرف أنه يحبها.

تمتم:

- حتى قابلتك.. كنت أعيش نصف حياة، ولم أدرك ما كان ينقصني حتى ظننت أنني فقدتك حين بدا لي أنك وجدت رجلاً غيري.

قال بلهجة المحذر:

- لن يكون الزواج بي سهلاً.

همست مقطوعة الأنفاس:

- لكنه سيكون رائعاً لي.

بقيا يتناجيان لفترة طويلة.. ويتحدثان عن أشهر الفراق الطويلة والعذاب الذي مرا به.

سألها أخيراً:

- أتعرفين.. تفهمين.. أننا لن نكون معاً دائماً؟ تعرفين أن علي أن

أمضي في عملي؟

- أعرف وأفهم، ولا أريد أن تكون مختلفاً.

أضاف متمتماً:

- ليس بمقدور الصحافي الجلوس في برج عاجي مهما كان هذا البرج ساحراً.

- أعرف.. أوه يورك.. عندما أفكر أنني كدت أخسرك.. وأنني ما كنت لأعرف.. وأن هذه اللحظات ما كانت لتكون.. أحس بالامتنان لأنني أردت دائماً ما أردته أنت.

- لكن أيمكنك معايشته، بيلا؟

نظرت عيناء السوداوان بلهفة إلى وجهها:

- أتتحملين الفراق.. المعرفة بأن هناك المزيد من الأحداث الخطيرة؟

ارتجفت شفتاها:

- لن يكون الأمر سهلاً، ولا أستطيع الادعاء بهذا. لكنني أفضل أن تكون لي هكذا على ألا تكون لي أبداً. أجل.. سأصبر.. لأنني أحبك.. يورك؟

- نعم حبيبتي.. لقد أضعنا وقتاً طويلاً يجب أن نعوضه. أشعرت مثلي بذاك الإحساس بالألم الذي يشوبه العذاب؟

همست له:

- أجل.. وبشكل لا يطاق.. وتعرف بالطبع أنني متعلقة بعملي بمقدار تعلقك بعملك.

ابتسم بكل:

- عظيم.. من المفيد جداً الزواج من امرأة عاملة. فلنواجه الأمر.. عملي لا يترك لي الكثير من الوقت لأكون معك.. وحين أكون في المنزل، سيكون هناك وسائل أخرى لقضاء وقتي.



تحولت لهجته إلى الإغواء مما استدعى ردها بالتقرب إليه.. وأكمل:

- لذا.. وبكل سرور.. تابعي عملك. طالما أنت قادرة على إعطائي الوقت الكافي لأرضي امرأتي، ولن أعترض على مساعدتك في إبقاء سقف فوق رؤوس الأطفال.. أطفالنا.

همست:

- أطفالنا؟ أطفالك؟ أوه يورك.. هل أنت واثق من هذا؟ أوه يورك!

أخيراً سيعطيها كل شيء تشوقت إليه.. وليؤكد أن هذه المرة ليست «العطاء الهندي».. أعطاها نفسه كهدية.. أعطاها حبه.

* * *



Rewity.com